نحو القلوب عند ابن عجيبة

Towards the hearts of Ibn Ajiba

إعداد الدكتورة

عايدة عبدالحميد عبدالرحمن

Aida Abdel Hamid Abdel Rahman

أستاذ مساعد في قسم العقيدة والفلسفة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية – بنات القليوبية

جمهورية مصر العربية

نحو القلوب عند ابن عجيبة

عايدة عبد الحميد عبد الرحمن
قسم العقيدة والفلسفة ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية ، بنات القليوبية، جمهورية مصر العربية
البريد الالكتروني: Aidaelfeky1847@azhar.edu.eg

الملخص:

يعبر سلوك الصوفي تعبيرا رمزيا، يزخر بمعاني روحانية سامية، لا يمكن للغة العادية التعبير عنه، يصعد بمنزلة الصوفي، حسب تجربته الصوفية، إلى أعلي درجات العرفان.اعتمد الصوفية في التعبير عن وجدانهم، وما يفيض به الله تعالى من معاني على قلوب العارفين، على مصطلحات هي رمز وإشارة، تجمع ما لديهم من معارف وحقائق، بألفاظ عربية لها دلالات، مقتبسة من تأويلهم للنص القرآني

يعتبر ابن عجيبة خير من فسر الإشارة في التصوف، وعبر عن ما يفيض به الله تعالى، من معاني وجدانية على قلوب العارفين، تتوقف على ما شعروا به، من حلاوة القرب إلى الله.تشتمل هذه الإشارة على لطائف و أسرار وعلوم معرفية، قد لا تستطيع العبارة التعبير عنها، لما فيها من معاني فوق التعبير لكي يصل الصوفي إلى أعلى منازل القربة لله، يجب عليه أن يجتاز كل العقبات ويتخطاها، من خلال تجربة الصوفي الذاتية، التي اكتسبها من الالتزام بتعاليم القران، وترجمها إلى سلوك خاص عنوانه التخلق بتعاليم القران الكريم، التي تنفرد كلماته بمفاهيم ربانية، يعبر عنها بالإشارات التي يعتبرها الصوفي، خطاب الحق لأوليائه، الذين فازوا بالقرب من الله سبحانه في نهاية طريق العرفان

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أحب الكلمات إلى الله عز وجل، هي أفضل كلمة تعلن عن التوحيد ، واشرف ما يعبر عنه ، وأتم دلالة على وجوده تعالى، وأعظم ما ينزه الله عن جميع النقائص، تستجمع كل صفات الكمال، تثبت التوحيد والتنزيه والكمال. والواصل إلى مقام الفناء، لا يرى في الوجود إلا الله، هو الموجود، ما سواه فاني، تختفي ذات الصوفي، ويبقى التجلي الإلهي.

الكلمات المفتاحية: مفهوم التصوف عند ابن عجيبة، علاقة المصطلح الصوفي بالنحو، صفات طالب الوصول (الصوفي)، علامات الجزم والطمأنينة عند المريد، الشُّهُودُ عند الصوفية.

Towards the hearts of Ibn Ajiba

Aida Abdel Hamid Abdel Rahman
Department of Doctrine and Philosophy, Faculty of Islamic and Arabic Studies, Banat Al،Qalyubia, Egypt
Email: Aidaelfeky1847@azhar.edu.eg

Abstract :
The Sufi behavior symbolically expresses abound meanings that normal language cannot describe, ascends the sufis' status to the highest degree of gratitude according to the Sufism experience.
The Sufis ،in their expression of the conscience and meanings poured from Allah the Almighty on mystics hearts، depended on terms presented as symbols and signs that combine their knowledge and facts in arabic words that has indications quoted from their interpretation of the Quranic text.
Ibn Ajiba is considered the best one who explained signals in Sufism and expressed what Allah the Almighty poured on to mystics hearts that dependes on sweetness they felt; being close to God. This signal includes witticism, secrets and cognitive science that the speech cannot describe for how ineffable
In order to reach the highest levels of closeness to god, Sufi overcomes all obstacles through his personal experience. He gained this experience from teachings of Qura'n, so that his special behavior is influenced by the teachings of the holy Qura'n, which include divine concepts and signs that

Sufi consider them truly great speech to attain closeness to Allah at the end of path of gratitude.

There is no god but Allah, the most beloved of words and the best words that declare monotheism, the most honorable testimony that assured his great existence, everything other than him is mortal. Sufi sees nothing but Allah the honor of majesty, transcends all short comings, glorified is Allah. Self of Sufi disappears and the divine manifestation remains.

Keywords : The concept of Sufism for Ibn Ajiba, The relationship of the Sufi term with grammar, The characteristics of the seeker of access (the Sufi), Signs of assertiveness and tranquility for the disciple, Witnesses for Sufism.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين،والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين،سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أهله وصحبه وسلم

مقدمة:

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا) اجعلنا يا رب من عبادك الذين جمعوا بين الإيمان والطاعة،فمنحتهم ودك،فأحببتهم،وجعلت لهم قبولا في قلوب العالمين،وهو من أعظم النعم

سما الإسلام بعقول المسلمين،فصفت أرواحهم وتهيأت،لتلقي العلوم اللدنية واستيعاب المعارف الربانية،لتتغير معرفتهم للأشياء،وتكتسب الكلمات معاني صوفية جديدة، لها أبعاد روحية صافية،تأول بالإشارة الصوفية، التي تتميز عن معاني مفردات النحو العربي بمعاني وجدانية راقية تعبر عن لذة القرب لله.قدم هذا ابن عجيبة في كتابه نحو القلوب الذي قسمه إلى نحو اللسان،ونحو القلب، وهو عند العارفين أيقن من نحو اللسان،فعلم القلب هو اليقين الكبير،الذي يعرف الله بنعت العيان،وهو فرض عين على كل مسلم عند ابن عجيبة

في القرآن الكريم من الأسرار التي لا تحصى،يخص الله بها من يشاء من عباده الصالحين،ومعان وإشارات وراء ظاهر الكلمات،يفتح الله بها على أوليائه الصالحين،وببركة العمل المخلص بشرع كتابه الكريم،يكافئهم بالحال،هو حركات قلبية تعبر عن مواجدهم،وواردات قلوبهم.الأنوار الإلهية الواردة على قلوب العارفين،هي الهام يلمح به بالإشارة عن معارف وأحاسيس ومشاهدات، وتجارب المقربين من رب العالمين.هذا موضوع البحث "نحو القلوب عند ابن عجيبة"،يتكون من ثلاثة فصول

الفصل الأول:علاقة المصطلح الصوفي بالنحو

الفصل الثاني:الاسم

الفصل الثالث:الفعل

الفصل الرابع:الحرف،وخاتمة

هذه دراسة تحليلية لنحو القلوب لابن عجيبة،تبين،أن الإنسان يستحق خلافة الله في الأرض،إذا تميز عن غيره بسمو الروح وصفاء النفس،فيسعد في الدنيا والآخرة مكافأة له،لما قدمه من الكفاح ومجاهدة النفس.فتجربة الصوفي استحضار وجود الله بما يمارسه من عبادات،تجعل دنياه محرابا للقاء الله.في هذه الرحلة تظهر على قلب السائر أنوار ،تبشر من اصطفاه الله،بأنه أنعم عليه بهذه المعرفة،التي تعجز كلمات النحو الظاهري التعبير عنها،فتظهر على العارف إشارات تبين فيض ومدد الأنوار من الله،يشير إليها العارف بالنحو الباطني.

نحو العبارة النحو الظاهري لغته العقل يدرك بالألفاظ والكلمات،ونحو الإشارة النحو الباطني لغته القلب،يدرك بالذوق والإلهام والفيض.إن الإشارة تنبأ عن سرعة التلقي وتوهج الذهن والروح بكلمات،تدعم موقف الصوفي،وتدفعه إلى الترقي في منازل السالكين،عبر عن ذلك القشيري من قبل ابن عجيبة في بحث هذا الموضوع ،بفهم خاص فاز به باجتهاده في دراسة التفسير واللغة والنحو والمصطلحات والذوق وغيرها من العلوم،يشرح من خلالها كيف يصل العارف إلى طاعة الله،ويتوصل قلبه إلى معرفته،وروحه إلى حقيقة محبته،وتطلعه إلى القرب منه،فمراتب أهل الحق عند القشيري زاهد ثم عارف ثم واجد ثم موحد،بما تميزت به ملكاتهم الباطنة،من نفس ثم قلب ثم روح،فوصلوا إلي غايتهم في كل مرحلة من مراحل العروج الروحي،إلى طاعة ،ثم معرفة،فمحبة ،فقرب

إشارة الصوفي عند القشيري،قفزة ونقلة روحية،لا يدرك الحس والعقل سرها ،تدرك بالكشف والإلهام.ولا تعارض بين العبارة والإشارة،بل يكمل كل منهما الآخر،،فعلوم الظاهر تنصر الشريعة والحقيقة ،بالشريعة تعبد الله،وبالحقيقة تشهده،لذلك ربح أهل الإشارة الكثير من المعارف اللغوية والإنسانية،بما اعتمدوا عليه من العبارة أولا،ليصلوا بالرياضة والمجاهدة إلى الكشف الذي يمن بها الله على من اصطفاهم من عباده،بفهم ما أودعه من لطائف أسراره.فعلم الظاهر قبل الانطلاق إلى علم الباطن.لا يتوقف نحو القلوب عند حدود الاشتقاق،بل ينبه إلى السلوك الأخلاقي المترتب على المعرفة.وأن الإشارة تبنى على المعاني الظاهرة في القران مستعينا بالعلوم العقلية والتقلية يدعمها اللغة والفقه والأصول،ليفسر بها المعاني الباطنة بلطائف،تخفي على غير العارفين،هبة للمتحققين

في نحو القلوب في نحو القلوب الصغير والكبير،بين القشيرى أن علم النحو هو العلم بالقواعد التي تضبط أواخر الألفاظ حتي يستقيم الكلام،و يعصم اللسان من الخطأ في القول. اكتسب منه طريقا جديدا للتعبير عما يتجلى على القلوب من معاني.فجمع بين النحو والتصوف بما يسمى علم النحو الصوفي أو نحو القلوب بدأه بوضع كتابًا صغيرًا عرض فيه لفكرته الأساس،ثم صنف الكتاب الكبير الذي يكاد يستغرق كل موضوعات النحو ،خضعت كلها للإشارة وعلم الباطن.

رد فيه المبتدأ وخبره،والفاعل،والفعل،والمفعول،و المرفوع،والمنصوب والمخفوض والوقف والسكون والجزم.كل هذه الألفاظ ذات الدلالات النحوية المعروفة،وجهها إلى دلالات عميقة في المفهوم الديني.يطرح ما في الوعي أو الإحساس و الفطرة والضمير،بنوع من اللقاء المعنوي الوثيق،بين الله والمبتدأ ،وبين الخالق والفاعل،وبين الكون والمفعول،وبين من هو مرفوع القدر والقيمة،وبين آخر مخفوض،و من تؤثر فيه العوامل،ومن لا تؤثر،وأن الاسم هو الله،والفعل ما كان من الله،والحرف إما يختص بالاسم فيوجب له حكما،أو يختص بالفعل فيقتضي له نسبه.

وضع القشيري أساس علم نحو القلوب بفكرة بسيطة في البداية بما تلوح به الإشارة من المعاني،ليعبر عن انه يغترف من بحر جود الكريم ،الذي يلهمه هذه الفتوحات،من خلال ذلك جمع بأطراف التجربة الصوفية كلها بأدق تفاصيلها،هدفه تحويل العلم إلى عمل،والنظرية إلى تطبيق،والمبادئ إلى سلوك،وطريقة جديدة لتعلم علم النحو على المتعثرين .جمع الشيخ في ذهنه ما يريد تناوله من فصول النحو اختار كل التراكمات النحوية التي تكفي لسلامة اللسان من الخطأ،و أوجز ذلك في عبارات مر كزة. ثم صاغ لأهل القلب ما يناظر ذلك من العلوم الصوفية. وثمرة ذلك علم ممتع ييسر للمريدين والسالكين والواصلين الطريق باستجماع النحوين،نحو اللسان ونحو القلب في ثروة علمية ثمينة،ليثبت للمريد أن كل صغيرة وكبيرة في العلوم الصوفية،إلا لها أصل في العلوم العقلية،وأن علوم الصوفية ليست بدعة،بل مستمدة من أصول علمية،حرث الناس على احترامها وتقديرها

إن الشريعة والحقيقة وجهان لشيء واحد،الحقيقة غاية والشريعة وسيلتها، التقصير في أحدهما يؤثر على الآخر،ولا أمل في الوصول حتى لو طرت في الهواء أو مشيت على الماء،فالمقياس موقفك من الشريعة،ليؤكد على مقصده من ربط الظاهر والباطن،وتوضيح الحقيقة بواسطة علوم الشريعة،الذي هدفه حب الله،الذي يحقق السعادة في الدنيا والآخرة،بذلك حول الشيخ النحو من علم جاف يصعب على الدارسين،إلى أنوار هداية تقرب المريد من ربه،يحمده على نعمه الظاهرة والباطنة.وعلى نهج الشيخ سار ابن عجيبة في نحو القلوب،الذي اخذ التصوف عن أكابر علماء التصوف مثل،القشيري وابن الفارض وأبي يزيد البسطامي وأبي الحسن الشاذلي و الجنيد وابن عطاء الله السكندري،و فسر نحو القلوب بالاستشهاد بأقوال هؤلاء العلماء

عرف ابن عجيبة التصوف:أنه علم كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملوك،وتصفية البواطن من الرذائل و تحليتها بأنواع الفضائل،أوله علم ،ووسطه عمل،وآخره موهبة.بين أن تجلي الباري على أهل التحقيق،مكنهم من الغوص في بواطن النصوص،واستخراج ما كمن بها من معاني سامية ،تلوح بها الإشارة عن أحوال العارفين،بعد تزكية الروح،وتصفية النفس،والفناء عما سوى الله.بأفعال المجاهدة والمكابدة ،يرفع العارفين إلي أعلي عليين،و بالرضا والتسليم تنصب أبدانهم إلي مسار أقدار ربهم بالشهود والعيان،و يجزم أهل الله في عقائدهم وعلومهم،لأنهم سبقت لهم من الله العناية، فلا خفض لهم أبدا

تفوق الشيخ في العلوم الظاهرة في كل ما تعلمه على يد العلماء،ثم غاص في علوم التصوف ذوقا وحالا ومقاما بصحبة أهل الله من العارفين،فأشار إلى قيمة علم الباطن بعبارته:من لم يبلغ فهمه لذوق تلك الأسرار،فليسلم ولا يبادر بالإنكار.فالاسم في نحو القلب:ما كان مخبرا عنه في مخاطبة الحق،الفعل ما كان خبرا في مخاطبة العبد مع الحق،و المبتدأ به والمنتهي إليه هو الحق ،والحروف رباطات تتم بها فوائد نطق القلب.المنادي هو الله تعالى المفرد العلم الذي يناديه المضطر،و في العطف صحبة الصالحين صلاح ،و المستثني من الفزع الأكبر،من حصل مقام الإحسان والمعرفة،الله مصدر الأنوار،ونفي الجنس والبعد عن الحس،شرط في دخول حضرة القدس ومحل الأنس ،فاستحضار

وجود الله تعالى هو أعلى درجات التوحيد،لا إله إلا الله خير ما قاله النبيون،ومفتاح الجنة للعباد.ومع اللطيف يستمر العطاء

فبحر جود ربك يفيض بدرر المعاني على العاشقين،ويستمر باب ربك يستقبل بالرحمات الواردين.اللهم اشرح صدورنا، لفهم كتابك العظيم،وإدراك معانيه التي تحقق لنا التقوى،وأفض علينا من إسرار معانيه التي تعلي بها من درجاتنا،وتزيد من معرفتنا،وتسعدنا بالقرب منك،فبحر جودك لا يرد من ورد

الفصل الأول

علاقة المصطلح الصوفي بالنحو

يكشف المصلح الصوفي عن المعاني العميقة في كلام الله تعالى،والحقائق المستورة وراء ظاهر العبارة،تعرف بالتفاسير الاشارية،من أهم العلماء في هذا العلم الشيخ أحمد بن عجيبة (رحمه الله)، يوضح أن مصلحات الصوفية تحمل معاني خاصة،يصعب على غير الصوفي إدراك معناها،من أجل ذلك حرص الكثير من العلماء على وضع معاجم للصوفية،توضح ما فيها من رمز،وتشرح ما بها من إشارة،تكون عونا لمن أراد فهم المتصوفة،وما توصلوا إليه من حقائق، تقرب التجربة الصوفية وتبسطها،لمن أراد التعرف عليها،وتضيء الطريق للمريدين الذين مازالوا في أول الطريق،ليفهموا أدق المعاني التي يطبقوها،لترفع من عزيمتهم في خوض التجربة،لأنها توضح لهم ما سوف يتوصلوا إليه من حقائق

بالإضافة إلى رفع اللبس الذي يتسبب في الطعن في علم التصوف، نتيجة جهل الكثير بحقائق هذا العلم،وغموض لغة المتصوفة، التي يصعب على من بعد عن معايشة التصوف فهمها.وجهله بالمصطلحات وما تشير إليه، فيمنع عن المنكرين حجتهم، في النيل من التصوف،فلا تبقى للمنكرين حجة للطعن فيه،يوضح ما غم عليهم من المعاني،ويبين لهم أسرع الطرق للوصول إلى الله،بتوضيح أدق الحقائق التي يحصل عليها،بطريق الكشف والإلهام،لا بالدليل والبرهان

المبحث الأول

ابن عجيبة :

هو العالم الصوفي أحمد بن محمد بن المهدي ابن عجيبة الحسني[١]، المتوقي في عام ١٢٢٤هـ.شريف النسب، شاذلي الطريقة، على عقيدة الأشعري من أهل السنة، مذهبه مالكي"ولد بقرية أعجيبش من قبيلة حوز تطوان بالمغرب سنة ١١٦٠ه من أبوين عابدين ناسكين، فطموه على الطاعة والعبادة منذ الصغر، كان مولعا بالعلم، قارئا للقران، دائم الذكر لله تعالى، مستغل كل الوقت في حب العلم وجمعه.

يقول ابن عجيبة:(أخذت العلم عن الفقيهين العالمِيْن المُدرسيْن سيدي أحمد الرشا، وسيدي عبد الكريم بن قريش فلازمتهما سنين)[٢]حيث درس على الأول(الألفية ومختصر خليل والسلم ومختصر السنوسي في المنطق والصغرى والكبرى له والمقنع، والخزرجية؛ودرس على الثاني، التفسير وصحيح البخاري مرارا وصحيح مسلم مرارا والرسالة، وتحفة الحكام لابن عاصم،وألفية بن مالك، والعقيدتين الصغرى والكبرى، وتلخيص المفتاح في البيان،ومختصر السبكي في الأصول،والشفا،و همزية الإمام البوصيري)[٣] لابن عجيبة مؤلفات كثيرة تزيد عن الأربعين مؤلفا،منها:

- معراج التشوف إلى حقائق التصوف
- إيقاظ الهمم في شرح الحكم. شرح جليل للحكم العطائية
- الفتوحات الإلهية، شرح على المباحث الأصلية في التصوف
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تفسير للقرآن الكريم علي طريق الإشارة الصوفية
- الفتوحات القدسية في شرح المقدمة الأجرومية بمقتضي قواعد النحو والإشارة

١) الأعلام:خير الدين الزر كلي، ٢٤٠/١، ط١٧، دار العلم للملايين، لبنان ٢٠٠٧

٢) الفهرسة:ابن عجيبة،تحقيق:عبد الحميد صالح حمدان،ص٣٠، ط، ١٩٩٠

٣) معلمة المغرب:الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ٥٩٩/١٨

مفهوم التصوف عند ابن عجيبة

تصفية البواطن حتى يكون العبد في حالة يرضاها الله ورسوله ظاهرا وباطنا، فمقصد التصوف هو مقام الإحسان الذي فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله:(أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك)فاهتم بعلم الباطن، كما اهتم بعلم الظاهر خاصة بعدما انكشف له معارف هذا العلم الذي يختص به الله تعالى أولياءه الذين يمارسون التصوف علما وعملا، يقول:(ولما حصلنا بفضل الله ما قسم الله لنا من العلم الظاهر انتقلنا إلى التهيؤ للعلم الباطن، وهو العمل بالشريعة الظاهرة، إذ لا ينتقل العمل للبواطن حتى تستقيم الظواهر، إذ الشريعة باب والحقيقة باب)[1] فعلم التصوف لديه من أجل العلوم قدرا وأعظمها محلا وفخرا، لأنه لباب الشريعة، ومنهاج الطريقة، ومنه تشرق أنوار الحقيقة

على سالك هذا الطريق الذي يريد الكشف والتحقيق، أن يلتزم الطاعة، وينقاد لشيخ محقق مرشد، جامع بين الحقيقة والشريعة(لأن الطريق عويص، وأدنى زوال يقع عن المحجة، يؤدي إلى غاية البعد عن المقصود)[2] لكي يصل الصوفي إلى أعلى منازل القربة لله، يجب على المريد أن يجتاز كل العقبات ويتخطاها، من خلال تجربة الصوفي الذاتية، التي اكتسبها من الالتزام بتعاليم القران، وترجمها إلى سلوك خاص عنوانه التخلق بتعاليم القران الكريم، التي تنفرد كلماته بمفاهيم ربانية، يعبر عنها بالإشارات التي يعتبرها الصوفي، خطاب الحق لأوليائه، الذين فازوا بالقرب من الله سبحانه في نهاية طريق العرفان

۞۞۞۞۞

١) الفهرسة:ابن عجيبة، ص ٤٠

٢) المصدر نفسه:ص ٦٠

المبحث الثاني:النحو والتصوف

أصول التصوف خمسة

المريد الذي يسلك طريق التصوف له أدوات تساعده على عبور الطريق، أولها تقوى الله في السر والعلانية، إتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم في الأقوال والأفعال، والإعراض عن الدنيا و الاكتفاء بالله الملك الحق، والرجوع إليه في السراء والضراء، ويرضى عن الله عز وجل في تقبل القضاءِ، ويؤمن أنّ كلَّ ما يحصل له من عند الله هو الخير.وفي نحو القلوب، حول العلماء هذه العبادات، إلى معاني تشير إلى علاقة العبد بربه، لأن النحو قواعد في لغة القران، والقران كلام الله لعباده، كل ما فيه من قواعد نحوية، فيه إشارات إلى معاني عند المسلمين، وصحة العبارة تصحح المعنى المقصود في كل حرف له إشارة

النحو في اللغة هو القصد إلى صواب الكلام،والطريق إلى كلام العرب.يعرف علم النحو(نحو اللسان) بالحد:هو علم مستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب.أو علم يعرف به أحوال أواخر الكلم إعرابا وبناء.بعد إصلاح اللسان يجب علي العاقل(أن يسعي في إصلاح جنانه، وذلك بتصفيته من الرذائل، و تحليته بأنواع الفضائل، ليتأهل بذلك قلبه لإشراق أنوار حقائق التوحيد، ودقائق أسرار التفريد)[1]غاية النحو صحة الكلام واللسان، ويختلف الناس في المقصد والهدف، وتتنوع لهم المصادر والمراجع، فمن غايته صلاح اللسان، يبحث عن استقامة العبارة، و من غايته صلاح القلب وراحة البال، يدقق فيما وراء معاني الكلام من إشارة

وحكم إصلاح اللسان دون إصلاح القلب عند ابن عجيبة(فسق وضلال، وإصلاح الجنان دون إصلاح اللسان كمال دونً كمال، وإصلاحهما معا كمال الكمال)[2] بالنحو تضبط العبارة الذي يؤدي إلي ضبط المعنى، وعند علماء التصوف يشير نحو اللسان إلى ما في القلب من المعاني التي يتحملها هذا النحو، فالمعنى الظاهر يكون تحت العبارة، و هناك معنى باطن تحت المعنى الظاهر، يكون في القلب لا

١) شرح الفتوحات القدسية:احمد بن عجيبة، تحقيق محمد عبد الحليم عبد الحميد، ص٢٩

٢) المصدر نفسه:ص٢٩

يعقله إلا العالمون، و ما في القلب لا يعبر عنه إلا بالإشارة.يخبر بها الغير عن المراد، ويكشف ما تخفيه العبارة من لطافة المعنى

صفات طالب الوصول(الصوفي)

-دائم الذكر والتفكر والصلاة والتلاوة، أوقاته كلها معمورة، لا تجده إلا ذاكرا أو متفكرا أو تاليا أو مصليا أو مذكرا أو مستمعا

-مخلص في كل حركاته وسكناته(إن تكلم فبذكر الله أو بما يقربه إلي الله، وإن صمت فعن الغيبة في الله يجول في عظمة الله، أو فيما يقربه إلي الله، وإن تحرك فبالله وإلي الله، وإن سكن فمع الله، مستأنسا بالله مشتغلا بربه، غائبا عن نفسه، ليس له عن نفسه أخبار، ولا مع غير الله قرار، أنسه بالله، ومجالسته مع الله)[1]

- زاده التقوى ودعمه القناعة، يستمد علمه من بحر العرفان(قد استغني بالله عما سواه ، ورفض وراء ظهره دنياه وهواه، قد اتخذ الله صاحبا، وترك الناس جانبا، وفي الصمت عن غير الله حكم وأسرار، ولا يذوقها إلا من استعمله الله وتخلق بالله)[2]بمجاهدة النفس، و تخليتها من الذنوب والمعاصي، تكون النفس صالحة، ومستعدة لاستقبال النور الرباني والفتح الإلهي.

موضوع علم النحو:الكلمات الثلاث، الاسم والفعل والحرف، لأنه يبحث عنها من حيث إعرابها وبناؤها وإفرادها وتركيبها[3]أقسام الكلام عند النحاة ثلاثة:اسم وفعل وحرف، وعند أهل الإشارة(المتصوفة)ثلاثة:أقوال وأفعال وأحوال.الأقوال:هي العلوم ثم المبادرة إلى صالح العمال، ثم تأتي الأحوال مواهب من الله تعالى.

الإعراب في الإشارة الصوفية:كما تتغير أواخر الكلم، لاختلاف العوامل الداخلة عليها، كذلك تتغير أحوال القلوب، لاختلاف الواردات الداخلة عليها، فتارة يرد عليها وارد القبض، وتارة وارد البسط، فالقبض والبسط حالتان يتعاقبان علي العبد، تعاقب الليل والنهار[4]، حينما يباشر المريد أداء الأوراد، من خلال الذكر

---

١) المصدر نفسه:ص٣٧

٢) المصدر نفسه:ص٣٧

٣) شرح الفتوحات القدسية:ص٣١

٤) المصدر نفسه :ص ٤٧

والعبادة للوصول إلي طريق الله، ينتقل من مرحلة إلى مرحلة أعلى وأفضل، وتتنزل عليه رحمات الله (علامات انتقال العبد من حال إلي حال، حسب الواردات القلبية والخواطر السيئة والرديئة، إما من الرفع إلي الخفض، أو العكس، أو من حالة القبض إلي البسط أو العكس، وهكذا من تخالف الآثار وتنقلات الأطوار، فلكل واحد من هذه الآثار علامات تظهر علي صاحبه، ولكل واحد من القبض والبسط آداب)[1]

وآداب البسط:كف اللسان وقبض العنان والحياء من الكريم المنان والبسط مذلة أقدام الرجال، قال بعضهم:فتح علي باب من البسط فذللت ذلة فحجبت عن مقامي ثلاثين سنة، ولذا قيل:قف بالبساط وإياك والانبساط، واعلم أن القبض والبسط فوق الخوف والرجاء وفوق القبض والبسط الهيبة والأنس فالخوف والرجاء للمؤمنين والقبض والبسط للسائرين والهيبة والأنس للعارفين، ثم المحو في وجود العين للمتمكنين، فلا هيبة لهم ولا أنس ولا علم ولا حس[2].القبض أحساس يرد على القلب يمنعه من الانبساط والفرح، لا يستطيع دفعه

يراد بكف اللسان:-الصمت عن اللغو، فهو فضيلة، السكوت عن الحرام عبادة، ولا يستقيم الإيمان، إلا إذا استقام القلب، ولا يستقيم القلب، إلا إذا استقام اللسان

-ترك مالا يعنيه، ولا يخوض في الباطل، لا يتكلف في الكلام، ويتجنب الفحش والسب والبذاءة، يبتعد عن المزاح إلا اليسير منه، فهو ضروري

-تجنب السخرية والاستهزاء، بألا يحاول التنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك عليه الغير، وألا يعيب مخلوقا، ولا يفشي السر ولا يكذب في القول ولا يغتاب

ويراد بقبض العنان:إلجام النفس وإذلالها لله تعالى والحياء منه تعالى.بالحياء تنأى النفس عن الرذائل، ويحجبها عن الصغائر، هو الباعث الأكبر على طلب الفضائل.يستحى العبد من الله، والملائكة، والنفس، والناس، أعظم الحياء منزلة الحياء من الله سبحانه وتعالى، (هو الحياء الحق.لذلك أمر به النبي صلى الله عليه وسلم، فقال:استحيوا من الله حق الحياء، قُلنا:يا رسولَ اللَّهِ إنَّا لنَستحيي والحمد لله،

---

١) المصدر نفسه :ص ٥٢

٢) المصدر نفسه : ص٤٨

قالَ:ليسَ ذاكَ، ولَكِنَّ الاستحياءَ منَ اللَّهِ حقَّ الحياءِ أن تحفَظ الرَّأسَ وما وَعى، وتحفَظَ البَطنَ، وما حوَى، ولتَذكرِ الموتَ والبِلى، ومَن أرادَ الآخرةَ ترك زينة الدُّنيا، فمَن فَعلَ ذلِكَ فقدَ استحيا يعني:منَ اللَّهِ حقَّ الحياءِ)[1]

فمن استحيا من الله لا يفرط في فريضة، ولا يصر على خطيئة، لأنه يعلم أن الله يراقبه ثم يحاسبه، فيخجل منه تعالى، لعلمه أن الله تعالى مطلع عليه في كل حال، قال تعالى:﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ. فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾[النازعات:آية٤٠، ٤١]يخاف من مقامه بين يدي الله، (قال مجاهد:هو خوفه في الدنيا من الله - عز وجل - عند مواقعة الذنب فيقلع)[2]

القبض و البسط، فوق الخوف والرجاء، يشعر المريد في حالة القبض بالحزن وضيق الصدر، و يشعر في البسط بالفرح والسعادة، فإذا غلب حال الخوف كان مقبوضاً، وإذا غلب حال الرجاء كان مبسوطاً.بالخوف لا يأمن المريد وبالرجاء لا ييأس، وفقد أحدهما يؤدي إلى القنوط من رحمة الله أو الأمن من مكره تعالى، وعلاج ذلك هو يجمع بين الخوف والرجاء.يكون الخوف من حدوث شيء في المستقبل، كفوت محبوب أو هجوم محذور، ويكون الرجاء في تحقيق محبوب في المستقبل، أو التطلع لزوال محذور أو الكفاية من أي مكروه.القبض والبسط(هما حالتان بعد ترقي العبد عن حالة الخوف الرجاء، فالقبض للعارف، كالخوف للمستأمن، والفرق بينهما أن الخوف والرجاء يتعلقان بأمر مستقبل مكروه أو محبوب، والقبض والبسط بأمر حاضر في الوقت، يغلب على قلب العارف من وارد غيبي)[3]

وآداب القبض، السكون تحت مجاري الأقدار وانتظار الفرج من الكريم الغفار.بالإلحاح في الطلب والدعاء، فطلب العارفين ليس قولا، بل حال اضطرار، و انقياد وطاعة وخُضوع لحكمه، واستكانة لكل ما قدره الله، فمن حسن الأدب مع الله تعالى، التسليم والرضا لأحكامه تعالى، فإذا تحلى بحلية العبيد، ينال كل ما يريد(فليس الشأن تُرزق الطلب، إنما الشأن أن تُرزق حسن

---

١) أخرجه الترمذي:أبواب صفة القيامة والرقائق والورع،"حديث صحيح"، رقم ٢٤٩٣

٢) تفسير القرطبي :سورة النازعات، ص ٥٨٤

٣) التعريفات:الجرجاني، ص ١٤٩

الأدب، فإن المدعو قريب، ليس بغافل فيُنبه، ولا ببعيد فتنادي عليه، فإذا دعوته وأجابك فاشكره، وإن أخَّر عنك الإجابة فاصبر؛فقد ضمن الإجابة فيما يريد، لا فيما تريد، وفي الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد)[1]

إذا وصل الصوفي إلى مرتبة العارف المحقق، لم تبق له حاجة يطلبها، وقد استغنى بالله عمن سواه.وطلب العارفين حال اضطرار سواء في الجلب أو الدفع(ما طلب لك شيء مثل الاضطرار ولا أسرع بالمواهب مثل الذلة والافتقار)[2] الاضطرار هو أفضل الطلب، فالإلحاح في الدعاء من غير يأس، يضمن للعبد الإجابة لما يريده الله وقتما يشاء(لا يتوهم من نفسه حولاً ولا قوة ولا يرى لنفسه سبباً من الأسباب يعتمد عليه أو يستند إليه بل يكون بمنزلة الغريق في البحر أو التائه في التيه القفر لا يرى لغياثه إلا مولاه، ولا يرجو لنجاته من هلكته أحداً سواه.والذلة والافتقار أمران موجبان، لإسراع مواهب الحق تعالى إلى العبد المتصف بهما وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى:(**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ**)[آل عمران:آية ١٢٣]فذلتهم أوجبت عزتهم ونصرتهم)[3]

إذا تخلق الصوفي بجميع الأسماء الإلهية، وإذا رجا وعد الله ونعيمه، غلبه حال الرجاء، فهو بسط، وارد، به إشارة إلى القبول والرحمة والأنس من الله، وإذا خاف الصوفي من وعيد الله، غلبة حال الخوف، فهو قبض، يرد على القلب، به إشارة إلى عتاب وتأديب(قال سيدي القشيري:إذا كاشف الله العبد بنعت جماله بسطه، وإذا كاشفه بنعت جلاله قبضه، فالقبض يوجب إيحاشه، والبسط يوجب إيناسه، واعلم أن رد العبد إلي أحوال بشريته يقبضه حتى لا يطيق ذرة، ويأخذه مرة من نعوته، فيجد لحمل ما يرد عليه قوة وطاقة[4]

إذا تحقق العارفون من منن الله ونعمه ومن محنه ونقمه، وشهدوا له بالعظمة والجلال، وما تحققه أسماؤه الحسنى من معاني وجودية، تعنى الجمال والجلال

١) البحر المديد في تفسير القران الكريم:ابن عجيبة، ص٤٥٥، المكتبة الشاملة
٢) الحكم العطائية:شرح عبد الله الشرقاوي ، تقديم عطية مصطفى، ص ١٣١، كشيدة للنشر
٣) المصدر نفسه: ص ١٣١
٤) شرح الفتوحات القدسية:ص ٤٨

والكمال، وإذا تجلى لهم بمعاني القوة والجلال، شعروا بالضعف والإذلال، وإذا تجلى لهم باسمه العاطي والوهاب، أيقنوا المنح والعطاء بكل ما هو جميل(قال الشبلي رضي الله تعالي عنه:من عرف الله جل وعلا حمل السموات والأرض علي شعرة من شعرات جفن عينيه، ومن لم يعرف الله جل جلاله، لو تعلق به جناح بعوضة ضج منها، فحصل من هذا علي حالتي القبض والبسط، حتى لا يطيقه، وهذا سيد الرسل صلي الله تعالي عليه وسلم، حين ورد عليه وارد القبض، شد الحجر علي بطنه، وحين ورد عليه وارد البسط، أطعم ألفا جياعا من صاع)[1]لأن العبد عرف عظمة الله،وما ينفرد به من معاني مطلقة، غاية في الكمال، فيتضرع إليه رغبة ورهبة، ويلح في الدعاء،دون يأس أو استبطاء أو كلل.وأيقن الإجابة بفضل الله عز وجل،وتبرأ من حوله وقوته،وأدرك حقيقة افتقاره إلى الغني الوهاب،واستحضر عظمة الله وحده،وجميل نعمه وفضله وإحسانه على عبده،وأنه وحده المستحق للعبادة والخشية والثناء

١) المصدر نفسه:ص٤٨

المبحث الثالث:الإعراب

هو البيان، و في إشارة المريدين:الإعراب عما في البواطن هو تغيير أحوال الظواهر، لاختلاف الواردات الداخلة عليها، فما كان في السرائر، ظهر في شهادة الظواهر.تنوعت أجناس الأعمال لتنوع واردات الأحوال[1].

أحوال التغيير الذي يحدث للإنسان وينزل به أربعة:

الرفع:أي رفع القدر والعز والجاه عند الله تعالي، وعامله العلم بالله، والعمل بطاعته ، وصحبة أهل العز والفناء، وهم الأولياء رضي الله تعالي عنهم

الخفض، ضده الرفع:هو الذل والهوان، وعامله الجهل، وارتكاب المعاصي وإتباع الهوى.والمقصود بالهوى:ما تهواه النفس وتعشقه، من الحظوظ الجسمانية المحرمة والمكروهة أو المباحة، قبل الوصول.الخفض هو حال عصيانهم، فيسقطون عن درجة الصلاح، وينخفضون إلي أسفل سافلين، حيث لم تسبق لهم عناية المقربين،ولا جزم لهم جزم أهل العيان،إذ لا يحصل الجزم الحقيقي، إلا لأهل الشهود والعيان،فليس الخبر كالعيان،إذ لا يسلم صاحب الدليل من الخواطر الردية والشبه الشيطانية،فجلهم يعبد الله تعالي عن ظن قوي، ولذلك عبر الله تعالي بالظن في مقام الجزم فقال تعالي:**(يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)**[البقرة آية: ٤٦]تيسيرا وتخفيفا علي أهل الدليل من أهل إلا يمان، إذ لو عبر بالعلم لخرج عن دائرة الإسلام خلق كثير

النصب:التوسط بين الارتفاع والانخفاض، فيقفون بمجاري الأقدار،وهو حال فتورهم،وبرودتهم عن العمل الصالح.نصب النفس لمجاري الأقدار،هو مقام الرضا والتسليم،و حال أهل الطمأنينة من العارفين الواصلين

والجزم:هو التصميم والعزم علي السير،والمجاهدة والمكابدة إلي الوصول إلي تمام، فأهل الرفع والنصب عارفون واصلون،وأهل الخفض تالفون تائهون، وأهل الجزم سائرون[2]

لا يخرج الإنسان من مقام الظنون، حتى يصحب العارفين أهل اليقين للأفعال(وللأفعال التي هي المجاهدة والمكابدة)من ذلك الرفع(أي إلي أعلي

---

١) المصدر نفسه:ص٤٨

٢) المصدر نفسه:ص٤٩

عليين)والنصب(أي نصب أبدانهم إلي مجاري أقدار ربهم بالرضا والتسليم) والجزم (في عقائدهم وعلومهم لأنه عن شهود وعيان)ولا خفض فيها(لأنهم سبقت لهم من الله العناية، فلا تضرهم الجناية، فكلما طلبهم عامل الخفض، استدركهم عامل الرفع، فيرفعهم، فلا خفض لهم أبدا، جعلنا الله من خواصهم آمين)[1]

الأصول عند العارفين ثلاثة:شريعة وطريقة وحقيقة.فأهل الشريعة قائمون بأقواله عليه الصلاة والسلام، وأهل الطريقة قائمون بأفعاله صلى الله عليه وسلم، وأهل الحقيقة قائمون بأحواله وأخلاقه صلى الله عليه وسلم.فأهل الأقوال هم المعبر عنهم بالأسماء،لأنهم فانون في الأسماء،لأن ذكرهم جله لساني،وعملهم جله بدني،فيقال من طريق الإشارة.فلأهل الأسماء من ذلك الرفع تارة،إن استقامت أقوالهم،وقويت دلائلهم، فيرتفعون إلي درجة الصالحين[2]

أولياء الله تفتح لهم أبواب السماء،وتنكشف لهم الحجب، يظهر لهم من الحقائق ما خفي على غيرهم، ويروا من ملكوت الله ما يبشرون به عباد الله.فهم أقرب الخلق إلي الله ورسوله،وأعرف الخلق بالله،وأكثر الخلق أدبا معه.لذلك ظفروا بالأنوار، التي لا ينعم بها إلا المخلصون،الذين تلاشت أنفسهم فناء في الله

يرتفع المريد في تأدبه بمجلس شيخه،لأن الطريق شاق،وشيطان هذه الطريق فقيه بمقاماته ونوازله،فلابد فيه للمريد من دليل،وإلا ضل سالكه عن سواء السبيل.يعرف المريد قدرشيخه،فلا يحدث نفسه بمنزلة فوق منزلة الشيخ، يتمنى له علو القامة وارتفاع المنزلة،وفي الزواج إذا أدرك ما فيه من المعاني الروحية،في رعاية الأهل والذرية (عن طريق التزوج السالم من غوائله،وشغله عن ربه،لأن التزوج للفقير المغتني يزيد في رتبة يقينه،ويوسع أخلاقه فتتسع معرفته،فإذا علم أنه لا يسلم فالسلامة تركه،وكان شيخ شيخنا رضي الله عنه يقول:حذر الصوفية من التزوج للفقير،وأنا آمر به،لأن الفقير إذا تزوج تقوي يقينه،واتسعت أخلاقه،ويتسع معناه، أو كلاماً هذا معناه)[3]

---

١) المصدر نفسه:ص٥٠

٢) المصدر نفسه:ص٤٩

٣) المصدر نفسه:ص ٥٤

يرتفع المريد بالعمل المشابه لفعل الأصفياء، بموافقته للسنة، وسلامته من البدعة، وتحققه فيه بالإخلاص والتبري من الحول والقوة.قال الله تعالي: **(فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)** [الكهف: آية١١٠][1] يفرد المريد الله بالقصد والإرادة،و يعرض ويصد عن كل شيء مع الله تبارك وتعالى.يخلص في عمله،ويصفو من كل رياء،ومن كل شائبة، فلا يكون له عند الخلق حاجة، فلا يطلب منهم مدحا، ولا ذما،ولا مالا،ولا خدمة،ولا محبة،فلا يريد بعمله شيئا سوى الله تعالى

العمل الصالح هو الذي يصحبه الإخلاص في أوله،والإتقان في وسطه، والغيبة عنه في آخره،وإليه الإشارة بقوله:الذي لم يتصل بآخره شيء من العلل، كالإظهار له والتمدح به.وفي الحكم العطائية لا عمل أرجي للقلوب،من عمل يغيب عنك شهوده، ويحتقر لديك وجوده[2].فلا عمل من أعمال البر،أكثر رجاءً لقبول الله له وصلاح القلوب،من عمل يغيب عنك شهوده، تراه ضئيلا، فإن غبت عن شهود عملك،واستصغرته مهما كان،فقد بقيت حينئذ بربك، وصار وجود العمل مهما كان محتقراً عندك،لاتهامك لنفسك بالتقصير في القيام بحقه تعالى.فأرجى الأعمال لصلاح القلوب،عمل لا يلتفت إليه القلب ولا يعتبره، لإحساس المريد بالتقصير، وأن عمله لا يكافئ فضل الله تعالى، فيتحرر من عمله، ويبقى مع ربه

المودة والمحبة من الخلق،علامة للرفع عند الخالق في موضعين:إذا كانت تلك المحبة من الجمع الكثير،والجم الغفير من أهل العقل السليم والرأي المستقيم،ولا عبرة بمحبة السفهاء ولا بغضهم، إذ ليسوا من أهل العقل السليم، وأن يكون ذلك الود سالما من الأغراض والأهواء، بل يكون لله وفي الله ومن الله، بلا عوض ولا حرف، فهذه المحبة هي التي تدل علي رفع قدر صاحبها عند الله،وتكون أيضا علامة لرفعه،إذا وقعت من الأجناس الخمسة الإنس والملك والجن والحيوانات والجمادات[3]

---

١) المصدر نفسه:ص٥٥

٢) المصدر نفسه:ص٥٥

٣) المصدر نفسه:ص٥٥

فإن الله تعالي إذا أحب عبدا قذف محبته في قلوب جميع خلقه، فيشتاق إليه كل شيء ويطيعه كل شيء، ويدل علي هذا تسخير الحيوانات والجمادات للأولياء، كما جاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة(**إِذَا أَحَبَّ اللهُ العَبْدَ نَادَىٰ جِبْرِيلَ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فأَحْبِبْهُ، فيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فيُنَادِي جِبْرِيلُ في أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فأَحِبُّوهُ، فيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ له القَبُولُ في الأَرْضِ**)[1]

ولنصب العبد نفسه للمقادير ،في مقام الرضا خمس علامات:الفتحة أي فتح قلبه لمعرفة الحق، فإن من عرف الحق رضي بأحكامه، ومن جهل سخط أحكامه، وقيل لبعض العارفين ما تشتهي؟قال ما يقضي الله، وقال آخر:أصبحت ومالي سرور إلا في مواقع القدر

العاقل إذا أصبح نظر ما يفعل الله به، والجاهل إذا أصبح نظر ما يفعل بنفسه، وعلامة العاقل علي النصب للمقادير أيضا، والرضي بما يبرز من عنصر القدرة ألف الوحدة، فلا يري إلا الله ولا يركن لشيء سواه، لأن من رضي بالله ربا لا يعرف غيره، وعلامته أيضا الكسرة أي الخضوع والسكون، تحت مجاري أقداره والذل والافتقار إليه، وعلامته أيضا اليقين التام والطمأنينة الكبرى، فالياء يشار بها هنا إلي اليقين، وعلامته أيضا حذف نون الأنانية لخروجه إلي البقاء، فالفاني يقول:أنا والباقي يقول:هو)[2]

الغافل:هو الجاهل بالله، ولو كثر ذكره باللسان، والعاقل:هو العارف بالله، ولو قل له ذكره، فالمعتبر هو ذكر القلب، الغافل لا ينسى نفسه ممتد الأمل، يعتمد على نفسه وعقله في تدبير شؤونه يعجب بفعله وقوته، فإذا عطل القضاء تدبيره، سخط وقنط، عاتب ربه، ويحدث الجفاء، إلا أن عاد وأناب، وأدام الوقوف بالباب حتى يرفع عنه الحجاب، ويعود فيلتحق بالأحباب .

لا يكون الفتح علي تحقيق العبد بمقام الرضا،إلا بعد تحققه بثلاثة أمور في بدايته [3].الاستغراق في الاسم المفرد، وصحبته للذاكرين، وتمسكه بالعمل الصالح، الذي لم يتصل به شيء من العلل، وهو التمسك بالشريعة المحمدية

---

١) أخرجه البخاري:(٦٠٤٠) ، ومسلم (٢٦٣٧)

٢) المصدر نفسه:ص٥٧

٣) شرح الفتوحات القدسية:ابن عجيبة، ص٥٧

.وخمسة أمور إذا تحقق بها كانت علامة علي صحة نصبه وظهوره، ثلاثة في سيره وهي:الصحبة للشيخ، وخرق عوائد نفسه، وأذن له من شيخه، واثنان بعد وصوله وهما:التحقق بمقام الفناء والبقاء

الكسرة أي الذلة والهفوة، علامة علي نصب العبد وجهه، لجهة التوجه بحيث لم تضره، ولم تفتره، بل تزيد له انكسارا وانحياشا لربه في جمع المؤنث السالم، أي إذا كان ذلك ميالا بطبعه لجهة النساء، ثم سلم من إغوائهن، ثم توجه إلي ربه بانكساره.رب معصية أورثتك ذلا وانكسارا، خير من طاعة أورثتك عزا واستكبارا)[1].لخفض العبد وتواضعه ثلاث علامات:انكساره لربه دائما، هيبةً منه وإجلاله له، ولعباد الله تواضعا، ولأوليائه تعظيما، وتحققه بياء النسبة، أي يكون منسوبا إلي الصوفية، بأن يقال:فيه صوفي، أو منسوبا إلي أولياء الله مضافا إليهم، وأن يكون مفتوحا عليه، قد تحقق بالفتح الكبير

اليقين والطمأنينة علامة لنصب العبد وتوجهه إلي ربه في التثنية، أي في ضمه الشريعة إلي الحقيقة، فإن كان ظاهره متمسكا بالشريعة، وباطنه منورا بأسرار الحقيقة، علمنا كماله وصحة توجهه، وإن أخل بإحداهما علمنا نقصانه، وإن ظهر أثر اليقين عليه من سكون الظاهر وطمأنينته، فإن كثيرا من العباد والزهاد ظهر عليهم أثر اليقين، وهم غير كمل، بل هم أشد حجابا عن الله، ويظهر أيضا نصبه وتوجهه، في الجمع الدائم بالقلب الهائم، فيكون شربه متواليا، وسكره متواصلا[2]

التواضع الحقيقي ما كان ناشئا عن شهود عظمته وتجلي صفته، فأما الانكسار فيكون علامة للتواضع الحقيقي في ثلاثة مواضع أولها:الاشتغال بذكر الله وأعظم الذكر الاسم المفرد لأنه سلطان الأسماء، فإن الذكر يهذب ويؤدب قال الله تعالي:(وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ)[العنكبوت :آية٤٥]هو تواضع العارفين، لأنه ناشئ عن شهود عظمة الحَق وتجلي ذاته وصفاته، وهو من عطف التفسير، لأن تجلي الصفات هو عين عظمة الذات، وذلك أن الحق تعالى كان في أزله القديم متصفا بصفاته ومتسميا بأسمائه في خفاء ولطف لم يعرفه أحد، فلما أراد أن يعرف

---

١) المصدر نفسه:ص٥٨

٢) المصدر نفسه: ص٥٨

أظهر بقدرته وإرادته عظمة ذاته المقدسة متصفا بصفاته الأزلية، فتجلت القدرة لعظمة الذات،فشهود عظمة الذات هو شهود تجلي الصفات

فالتواضع الحقيقي:هو الذي ينشأ عن شهود عظمة الذات ونور الصفات،فلذلك ترى العارفين يتواضعون مع الحجر والمدر،وكل شيء لمعرفتهم في كل شيء.التواضع الحقيقي للعارفين،لأنهم بشهود عظمة الحق زالت عنهم صفات النفس،فلا يخرج عن النفس،إلا من شهد الوصف، فالمؤمن لا يشغله نفسه ولا حقه،عن أن يكون شاكرا وذاكرا لله

ثانيها:جمعه مع الأولياء أهل الإكسير والتكسير

ثالثها:تحصيله لسنته عليه الصلاة والسلام،وإحرازه لدينه بجمعه بالمؤنث من غوائله وهو التزوج،فلا يظهر تواضع العبد ولا حسن خلقه إلا مع أهله وأولاده، عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي)[1].ياء النسبة تحققه بلحوق الصوفية، فتكون علامة علي خفضه وتواضعه حتى يتحقق بما تحققوا به في ثلاثة مواضع في الأسماء الخمسة، أي يظهر تواضعه في الأسماء الخمسة الإنس والجن والملائكة والحيوانات والجمادات، فإن العارف يتواضع مع الحجر والمدر ومع الأشياء كلها، لأن تواضعه ناشئ عن شهود الضدين في الأشياء كلها، فيتواضع مع الربوبية، ويقوم بحق العبودية، وفي الجمع أي في جمع الأخوان، فيتواضع مع صغيرهم وكبيرهم، ويرحم صغيرهم ويوقر كبيرهم[2]

إذا لم ينصرف العبد عن هواه، ولم ينفك عن طبعه ومتابعة مناه (قد يكون الفتح علي العبد في علم الحقائق، سببا لطرده وعلامة علي خفضه عن مقام الأكابر، وذلك في العبد الذي لا ينصرف عن هواه، ولا ينفك عن طبعه ومتابعة مناه، وذلك لوجود علتين وهما:حب الرياسة والجاه، أو علة تقوم مقامهما، هي حب الدنيا الذي هو رأس الخطايا)[3].

---

١) صحيح الترغيب:الألباني، اخرجه ابن ماجة(حديث صحيح) (١٩٧٧)

٢) شرح الفتوحات القدسية:ص٦٠

٣) المصدر نفسه: ص٦٠

علم الحقائق لا يطيقه إلا الأقوياء بالمجاهدة والابتعاد عن الشواغل (من الرجال الذين قتلوا أنفسهم بالمجاهدة والمخالفة وتفرغوا من جميع الشواغل والعلائق القلبية وصحبوا المشايخ وجالسوهم وخدموهم ورسمت أحكام الشريعة في ظواهرهم، فحينئذ إذا دخلوا بلاد الحقائق أشرقت عليهم أنوارها وأسرارها وذاقوا حلاوة معانيها ورسخت في قلوبهم أسرار المعارف، وأما قبل ذلك فإما أن يتذندقوا أو يرفضوا الشريعة وراء ظهورهم، فينسل الإيمان من قلوبهم، انسلال الشعرة من العجين، وإما أن يتقهقروا إلي مقام العمومية[١]

لا تطيق القلوب كلها أنوار الحقيقة(بل بعضها فقط، وربما تكون بعض القلوب تفر من الذكر وتتعشق إلي اللهو والغناء،فهي كالجعل وهو الذي تقول فيه العامة أبو فساس، فإن من شأنه إن قربت منه رائحة طيبة مات من ساعته،ولا يعيش إلا بالنتن والخبث، فكذلك بعض الأرواح الخبيثة، تنتعش باللهو وتفرمن الذكر، ينطبق عليها قوله تعالي **(وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ)**[الزمر: آية٤٥])[٢]

١) المصدر نفسه: ص٦٠

٢) المصدر نفسه:ص٦١

المبحث الرابع

علامات الجزم والطمأنينة عند المريد

للجزم بمعرفة الحق والرسوخ فيها، بحيث ينقطع من القلب التوهم والخواطر والشكوك والأوهام علامتان، السكون أي سكون القلب وطمأنينته، فيكون كالجبل الراسخ لا تحل لساحة الهموم، ولا تطرقه عوارض الغموم، ولو انطبقت السماء علي الأرض، فلا تحركه واردات الأحوال، ولا تهزه الزلازل والأهوال، فيسكن الظاهر من تعب المجاهدة، ويرتاح الباطن في ظل المشاهدة، إذ لا تجتمع المجاهدة مع المشاهدة، إنما يكون التعب في حالة السير، وأما من وصل إلي الحبيب، فلا تعب له ولا نصب، قال تعالى:(**لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ**)[الحجر:آية ٤٨].وعلامة الجزم بشهود الحق تحذف(**علائق القلب** وشواغله، فلا يبقي إلا قلب مفرد فيه توحيد مجرد، وقد جعل الهموم هما واحدا، فكفاه الله هم دنياه، وضمن له عاقبة أخراه جعلنا الله منهم بمنه وكرمه.

-سكون الظاهر من تعب المجاهدة، قد يكون دليل على يقين الباطن ومعرفة الله تعالى(علامة لجزم الباطن ورسوخه في مقام المشاهدة في الفعل المضارع، أي في العمل الصالح المشابه لأفعال المخلصين، بموافقة السنة ومجانبة البدعة، الصحيح الآخر الصافي من العلل، التي تلحقه بعد تمامه كالتبجح به واعتقاد المزية علي الناس، بسببه وطلب العوض عليه، كيف تطلب عوضا عن عمل لست أنت فاعله؟والحاصل أن سكون الظاهر بعد التعب يدل علي جزم الباطن، وتحققه بمعرفة الله، وهي الحياة الطيبة والعيش الهنئ)[1]

-وقد يكون طمأنينة الظاهر من تعب المجاهدة دليل لسكون الباطن براحة المشاهدة، الفقر في ذاته ليس هدفا للصوفي بل المراد هو تجنب النفس كل ما يبعدها عن الله تعالى، وقد يطلب المريد جمع المال لغرض ما، مثل الإنفاق على نفسه بكل ما يقويه على العبادة كالمطعم والملبس والمسكن و الاستعانة به على العبادة كالحج والجهاد، وكل ما هو ضروري للحياة؛لكي لا ينشغل إلى تدبير هذه الأمور إذا لم تتيسر، فينصرف القلب ولا يتفرغ للدين.بالمال يحفظ نفسه من ذل السؤال أو يتصدق به وينفقه في الخير العام للمسلمين

---

١) المصدر نفسه:ص٦٢

قد يحدث تنازع بين القلب بالميل إلى الأعمال الصالحة وبين النفس إلى فعل الشهوات، وبنوراللهورحمته ينتصر القلب بفضل توكل العبد وفراره إلى الله على قهر النفس والانتصار عليها، ويعلو نور القلب على ظلمة النفس.وقد يكون مع بقاء تعبه بالأموال والخواطر الدنيوية.ذلك أن المريد إذا التقي بالشيخ وأخذ عنه جاء جند النور يريد أن يخرج جند الظلمة من مدينة القلب، ويريد جند الظلمة البقاء في وطنه فيشتعل الحرب بينهما، وهذا سبب اضطراب الظاهر وتوارد الأحوال عليه وذكر اللسان كالمدفع يرمي عليه من خارج، فإذا دخل الذكر معه القلب وخالط معه البطر سكت اللسان، وما بقي إلا السيوف تضرب ثم يخرج جند الظلمة من القلب ويرتاح القلب من تعب التدبير والاختيار وأحوال الدنيا[١]

ويسكن الظاهر أيضا من تعب المجاهدة،وقد ينزل جند النور علي جند الظلمة فلا يقدر علي إخراجه من القلب فيرتحل النور حيث جاء،ويسكن الظاهر علي جند الظلمة،ويبقي الباطن متعبا كما كان،فهذا حال من رجع وخرج من الفقراء، قبل التمكين،واشتغل بالأسباب قبل الوصول،والعياذ بالله من السلب بعد العطاء[٢]. وأما حذف الشواغل والعلائق الظاهرة، ظلمانية كانت أو نورانية، فيكون علامة لجزم الباطن، وتحققه بمقام الأذواق والوجدان، وتخلصه لمقام العيان في الفعل المضارع، أي العمل المشابه لأفعال الصالحين، المعتل الآخر بما تقدم، فإن حذف علته وصفائه وطهره من تلك العلل، كان علامة علي جزمه، وتحققه بالعرفان علي نعت الشهود والعيان[٣]

أول ما يبدأ االعبد يشتغل بالذكر، يصل إلى طمأنينة مؤقتة للقلب لا تلبث أن تزول، فهذا حال، فإذا تابع الإنسان الذكر، وصل إلى طمأنينة دائمة للقلب، فهذا مقام.والعلائق ما يتعلق به الإنسان من أسباب الدنيا.قال الغزالي:و كان قد ظهر عندي انه لا مطمح في سعادة الآخرة إلا بالتقوى،وكفّ النفس عن الهوى، وأن رأس ذلك كله، قطع علاقة القلب عن الدنيا، بالتجافي عن دار الغرور، والإنابة

١) المصدر نفسه: ص٦٢
٢) المصدر نفسه:ص٦٢
٣) المصدر نفسه:ص٦٢

إلى دار الخلود، والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى،وإن ذلك لا يتم إلا بالإعراض عن الجاه والمال، والهرب من الشواغل والعلائق)[١]

ما ينكشف بالنور

تنكشف بالنور حقيقة الأشياء على ما هي عليه، فالنور الظاهر تنكشف به الأشياء الحسية، والنور الباطن تنكشف به الأشياء الباطنية، كمعرفة ذات الله تعالى، وما يجب له من آداب العبودية.وهو ثلاثة أنواع:نور معرفة أحكام المعاملة ، ونور اليقين، ونور المكاشفة(فالأول:نور الإسلام، وهو كنور النجوم، والثاني:نور الإيمان، وهو كنور القمر، والثالث:نور الإحسان، وهو كنور الشمس.ويسمى الأولان:نور التوجه، والثالث:نور المواجهة.وتتفاوت هذه الأنوار على قدر التوجه والتفرغ من شواغل الحس، فإذا أشرقت شمس العرفان، لم يبق لنور النجوم ولا للقمر أثر؛لمحو وجود الأكوان في محل العيان، فصار الغيب شهادة، والتصديق معاينة، فانطوى الإيمان في وجود العيان)[٢]

يرفع العباد هممهم إلى الله تعالى، وتنصب أبدانهم في طاعة الله تعالى، وتخفض نفوسهم تواضعا لله تعالى، وتجزم قلوبهم عما دون الله تعالى، وتسكن إليه، فيتحقق المريد من قبول الله تعالى له، وتصح معرفته ويثبت يقينه، بما يقدمه من أعمال خالصة لله تكون(علامة علي جزمه وتحققه في الأفعال التي رفعها بثبات النون أي في الأفعال التي ترفع صاحبها بثبوت نورانيتها ووجدان حلاوتها، فوجدان الحلاوة عاجلا، دليل علي وجدان القبول آجلا، فإذا تحقق المريد بحلاوة نور التوجه، ثم ترقي إلي حلاوة نور المواجهة، فقد صحت معرفته، وكمل يقينه، وتحقق جزمه، وعقد في أسرار التوحيد)[٣]

أقسام الكلام في نحو القلوب الذي يصل به العبد إلي حضرة مولاه ثلاثة:اسم وفعل وحرف(والحاصل من الإشارة أنها ترجع إلي الأقسام الثلاثة التي يقطعها المريد، وهي الشريعة، والطريقة، والحقيقة.فالشريعة:أقواله عليه الصلاة والسلام

١) المعجم الفلسفي:٢/٩٤، الشركة العالمية للكتاب، بيروت

٢) البحرالمديد في تفسيرالقران المجيد:ابن عجيبة،احمد القرشي رسلان١/٥ ، القاهرة ١٩٩٩

٣) شرح الفتوحات القدسية :ص٦٣

والطريقة:أفعاله، والحقيقة:أحواله)[1] الشريعة معظمها أقوال والطريقة أكثرها أفعال أي مجاهدة ومكابدة، والحقيقة جلها أخلاق وأذواق، فيرجع الاسم والفعل والحرف إلي الأقسام الثلاثة التي يقضيها المريد،وهي الشريعة،والطريقة، والحقيقة.الشريعة علم صعب إدراكه كله،العين بالعين،والصلوات خمسة،كل شيء بالشريعة له حدود،كل عمل فيها فيه فتوى.والطريقة اعبد الله كأنك تراه.والأحوال في الدين فتوى وتقوى،والتقوى أعمق من الفتوى، والحقيقة يعرف أن كل شيء من الله،المرض و الشفاء، الفقر والغنى.فالشريعة:أقواله صلى الله عليه وسلم، وهي للعوام، وهي أن تعبد الله سبحانه

الطريقة: أفعاله صلى الله عليه وسلم، وهي للخواص، هي أن تقصد الله تعالى، جلها أفعال أي مجاهدة ومكابدة.والحقيقة:أحواله صلى الله عليه وسلم، وهي لخواص الخواص، وهي أن تشهد الحقيقة بعين اليقين، كلها أخلاق وأذواق
تمسك العوام بالشريعة الظاهرة، و تمسك الخواص بالشريعة في الظاهر، وزادوا عليها السلوك للوصول إلي الحقيقة، بتهذيب النفس وتطهير القلب، وتمسك خواص الخواص بالشريعة في الظاهر، وبالطريقة في الباطن، تظهر وتتجلى لهم الحقيقية، فيروها بعين قلبهم(فتخلقوا بأخلاقه عليه الصلاة والسلام، وورثوا حاله ومقاله، فهم الورثة الحقيقيون.ورثوا التركة بتمامها أقواله وأفعاله وأخلاقه.وإلي هذا ذكر القشيري في تفسير قوله تعالي(فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ)[فاطر: آية٣٢]قال:إن الظالم لنفسه:المتمسك بأقوَاله عليه الصلاة والسلام، والمقتصد أي المتوسط:المتمسك بأقواله وأفعاله صلى الله عليه وسلم، والسابق بالخيرات:المتمسك بأخلاقه عليه الصلاة والسلام، أي المتمسك بأخلاقه بعد التمسك بأقواله وأفعاله)[2] الاسم، هو أقوال الله للعباد، والفعل كل ما يفعله الله، ويفعله العباد كل تجاه الآخر، والحرف هو ربط الفعل بالقول للوصول إلى الحقيقة

١) المصدر نفسه:ص٣٩
٢) المصدر نفسه:ص٤٠

الفصل الثاني: الاسم

الاسم من السمو وارتفاع القدر، وأسماء الله الحسنى مفتاح لكل باب، يطرقه العباد، للرحمة، للرزق، والعلم، للشفاء، أو السكينة، أو للسعادة، لا يفوز العبد بها إلا بالمعرفة.لا مثيل له تعالى في صفاته.إذا كان لكل إنسان نصيب من اسمه، فعلى الناس أن يختاروا أسماء غنية بالهبات الإيجابية.بالعلم والمعرفة قوم يسمعون فيطربون، هم المسلمون، وقوم يسمعون فيرتقون، هم المؤمنون، وقوم يسمعون فيلتقون، هم المحسنون

المبحث الأول

الاسم في نحو القلب:ما كان مخبرا عنه في مخاطبة الحق، الفعل ما كان خبرا في مخاطبة العبد مع الحق، والحروف رباطات تتم بها فوائد نطق القلب(قال أهل العبارة:الاسم مشتق من السمو أو من السمة على الخلاف.وقال أهل الإشارة:اسم العبد:ما وسمه الله تعالى به في سابق مشيئته، من شقاوة وسعادة، فمن قربه في سابق مشيئته، فقد سما قدره بين بريته)[١]

الأسماء:منها المعارف ومنها النكرات، كذلك عباد الله منهم المعروف، له نصيب معروف به مع القوم، موصوف بمقام الصدق، ومنهم النكرة، ليس له نصيب مع القوم، لا حظ له سوى الأكل والنوم.الاسم:منه الصحيح ومنه المعتل.الصحيح ما سلم من حروف العلة:الألف والواو والياء، وعند أهل الإشارة:(من سلم اسمه من ألف الإلباس، وواو الوسواس، وياء الياس- فقد صح اسمه، وحق له الإعراب، وهو البيان، ثم الكشف والعيان، فعلم علم اليقين، ثم عين اليقين، ثم حق اليقين)[٢]

الاسم المفرد:هو سلطان السماء وهو اسم الله الأعظم، فلا يزال المريد يذكره بلسانه، ويهتز به، حتي يمتزج بلحمه ودمه، وتسري أنواره في كلياته وجزئياته، فيتحد الذاكر والمذكور، فينتقل الذكر إلي القلب، ثم إلي الروح، ثم إلي السر، فحينئذ يخرس اللسان، ويحصل علي محل الشهود والعيان، فيصير ذكر اللسان

---

١) تحو القلوب:عبد الكريم القشيري، تحقيق مرسي محمد على، ص٤٠، بيروت ٢٠٠٥

٢) المصدر نفسه:ص٤١

ذنبا من الذنوب عند مشاهدة علام الغيوب، حسنات الأبرار سيئات المقربين[١].لا يرى الصوفي نفسه وحدها، و الله وحده، بل ترفع الاثنينية، لا يرى إلا الله وحده؛لأن الشعور بالذات حائلً، وحجابً كثيفً يستر المحب عن المحبوب، فيكون في حال تفنى فيها الأنا، ويبقى الله وحده، وتتلاشى التفرقة بينهما(فالذكر منشور الولاية، ولابد منه في البداية والنهاية، وهو باب عظيم للدخول علي الله)[٢]، فكل غاية الصوفي أن يكون مع الله، ولا تتحقق الكينونة والمعية مع الله، إلا بالذكر.الاسم الذي يذكره ويهتز به، هو الله

معرفات الاسم

-يعرف العبد الله تعالي ،في أربعة أحوال:

-يمكنه الله تعالي من محبة شيخ كامل عارف بالله، ثم يمكنه من خدمته وصحبته، ثم يمكنه من شهود الحق ومعرفته

-أن يتنكر من جميع الناس، ويفر منهم، حتى يأتنس بالله جل جلاله، فقد قال بعض الصوفية في شأن من دخل معهم:تنكر لمن تعرف ولا تتعرف لمن لا تعرف، وفي الحكم مهما أوحشك من خلقه، فاعلم أنه أراد أن يؤنسك به، وقال أيضا:ما نفع القلب شيء، مثل عزلة يدخل بها ميدان فكره

-أن يعوض الغني بالفقر، والعز بالذل، والخلطة بالعزلة، وهكذا يبدل الأشياء القبيحة بأضدادها

-يقابل عز الربوبية بذل العبودية، تحقق بوصفك يمدك بوصفه وقوته، تحقق بفقرك يمدك بغناه، تحقق بضعفك يمدك بحوله وقوته.ويقابل أيضا الأوصاف المذمومة بالأوصاف المحمودة:كالبخل بالسخاء، والتكبر بالتواضع، والحقد والحسد بسالمة الصدر، والقلق والحدة بالرزانة والتأني، وهكذا يقابل المساوئ بالمحاسن، ويقابل الداء بالدواء)[٣]

-ويعرف الله ،بدخول الحضرة القدسية، فإنها معروفة عند العارفين، ومعرفتها بتعريف الله إياها علي ألسنة الرسل وخلفائهم، وهي محل المشاهدة والمكالمة

---

١) شرح الفتوحات القدسية :احمد بن عجيبة:ص ٣٨

٢) المصدر نفسه:ص ٣٨

٣) المصدر نفسه:ص٤٢

والمواجهة والمكافحة، ودخولها يكون بتحقيق ماً تقدم من العلامات[١].الحضرة، هي حضور القلب لأهل المراقبة، إذا تقلبت الروح بين الغفلة والحضرة، أو حضور الروح لأهل المشاهدة، فإذا استراحت بالوصال سميت روحا، وكانت في حضرة الأرواح أو حضور السر لأهل المكالمة، وإذا تمكنت وصفت وصارت سراً من أسرار الله، سميت سراً، وكانت في حضرة الأسرار

التفاضل بين أهل الحضرة

يتفاضل أهل الحضرة بنسيم القربة من الله تعالى، منهم من يشهده ويراه مرة في الأسبوع، ومنهم من لا يغيب من الحضرة لحظة، يجتمعون في الرؤية، ويتفاوتون في نصيب كل أحد، كلّ منهم يرى بعينه، ما لم يره صاحبه.وإذا خرج العبد عن دائرة حسه واستغرق في بحر حضرة الإلوهية، يسمع ويشهد ما لا طاقة للعقول بفهمه.لأنه أدام النظر، وألقي السمع مع الله، واستعد لما يرد من الحكم.اعتدل قلبه بالإعراض عما سوى الله، أقبل و توجه إلى الله، غير آسف على شيء، فلا يدخل الحضرة المقدسة إلا المطهرون،في ظاهرهم وباطنهم

العارفون خفضوا أنفسهم تواضعا لله،بكل ما يخفض النفس،وينزل بها إلي أرض التواضع.من ابتداء السير،إلي انتهائه،(فالمريد بدايته المجاهدة، ونهايته هي المشاهدة، فمن أشرقت بدايته،أشرقت نهايته،فإشراق البداية هي القريحة الوقادة والكد والجد،في مجاهدة النفس وعمارة الأوقات، وإشراق النهاية هو دوام شهود الحق، والعكوف في حضرة القدس، ومحل الأنس)[٢]

الناس في طريق الوصول إلى الله ثلاثة أقسام[٣]:

١-قوم قنعوا بمقام الإيمان، ولم ترفع همتهم إلي طلب العيان، وهؤلاء لا سير لهم، فهم عوام المسلمين

٢-و قوم تعلقت همتهم بالوصول، واستعملوا شيئا من عبادة الظاهر، لكن لم يظفروا بشيخ التربية، أو لم يقدروا علي صحبته، ولم تسمح نفوسهم بالتجريد وخرق العوائد ، هؤلاء صالحون أبرار، وهم أيضا من عامة أهل اليمين، سواء

١) المصدر نفسه:ص٤٢

٢) المرجع نفسه: ص٤٢

٣) المصدر نفسه:ص٤٣

كانوا من الزهاد أو العباد أو العلماء الإنجاد، لأنهم حيث لم يخرقوا عوائد أنفسهم، لم يتحقق سيرهم ، لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين، كيف تخرق لك العوائد ؟وأنت لم تخرق من نفسك العوائد

٢-وقوم ارتفعت هممهم إلي الوصول، وظفروا بشيخ التربية، وقواهم الله تعالي علي صحبته وخدمته، وتجردوا من عوائدهم، فأشرقت بدايتهم بالمجاهدة والمكابدة ، وأشرقت نهايتهم بدوام المشاهدة، فهؤلاء من خاصة الخاصة، وهم المقربون السابقون

قوم تجاوزا عن العلائق والشواغل(إذ لا يصح السير مع العلائق والشواغل، وكان شيخنا البوزيدي رضي الله تعالي عنه يقول:إن شئتم أقسم لكم أنه لا يدخل عالم الملكوت من في قلبه علقة، وقال الله تعالي:(وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ)[الأنعام:آية ٩٤]أي جئتم إلي حضرتنا فرادي، من علائق القلب وشواغله، وقال الله تعالي:(أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ)[الضحى:آية ٦]أي يتيما من السوي، فآواك إلي حضرته[1].واستعلوا علي النفس بالقهر والغلبة، وعلي السير بالنصر والرعاية، وعلي الهداية بالتمكين والعناية (أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[البقرة:آية ٥]

تمكنوا في دخول الحضرة ، تمكن المظروف في الظرف فتصير مأواه ومعشش قلبه، فيها يسكن وإليها يأوي، ويشير أيضا إلي الذهاب في الله، قال تعالي حكاية عن خليله:(وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ)[الصافات:آية٩٩]أي إلي الذهاب فيه بعد الذهاب إليه، وهو الاستغراق في بحر الأحدية، فالذهاب إليه حال السائرين، والذهاب فيه حال الواصلين.وفي قلة وجود أهل الخصوصية قال الله تعالي: (وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ)[ص:آية٢٤]قال الله تعالي:(وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ)[سبأ:آية ١٣]فهم أكسير الوجود، ومن ظفر بهم، ظفر بالغني الأكبر، والسر الأبهر، أوإلي كثرتهم لمن سبقت لهم العناية، وحسن الظن بالله وبعباده)[2]

استعانوا بالله في سيرهم، وظفرهم بالله في وصولهم، فمن كانت بالله بدايته كانت إليه نهايته، فهم مبرؤون من حولهم وقوتهم، في سيرهم ووصولهم، أو إلي

١) المصدر نفسه:ص٤٣

٢) المصدر نفسه:ص٤٤

مصاحبتهم لله في غيبتهم وحضورهم، وفي جميع شؤونهم، قد اتخذوا الله صاحباً ، وتركوا الناس جانبا(فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ) [مريم :آية٤٩]فالاعتزال عن الخلق سبب في مواهب الحق، أو إلي مصاحبتهم، لمن يدل علي الله بمقاله، وينهض إليه بحاله، فالصحبة عند هؤلاء ركن كبير من أركان التصوف، يدرك بها في ساعة واحدة، ما لا يدرك في سنين بالمجاهدة والمكابدة

تشبهوا بالقوم في زيهم وسيرهم وأخلاقهم، فمن تشبه بقوم فهو منهم، بشرط العمل والإخلاص.واستحقوا الولاية وملكها بالمحبة، والتشبه بالقوم مع الإخلاص، والتجريد من العلائق، حتى تشرق عليه أنوار الحقائق، ويملك الوجود بأسره من عرشه إلي فرشه، يتصرف فيه بهمته، ويدور به في لمحة بفكرته[1].علم العارفون أن الأسماء تنخفض بحروف الجر، والأشياء كلها من الله والى الله، فخفضوا أنفسهم تواضعا لله، وتعززوا بجوار الله تعالى، فاصطفاهم الكريم لقربه، وجعلهم المحسن من حزبه

المبحث الثاني:المبتدأ والخبر

يرفع المبتدأ لتجرده عن العوامل اللفظية، والعبد الفقير لربه المتجرد عن لهو الدنيا مرفوع القدر، وخبره مرفوع، لانقطاعه عن العلائق، وتعلقه بالحقائق، الواردة من الله تعالى(**المبتدأ به والمنتهي إليه هو الحق جل جلاله قال الله** تعالي:(هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)[الحديد:آية ٣]وقال الله تعالي:(وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ)[النجم:آية ٤٢]المبتدأ إشارة إلي الذات العلية الأزلية في حال الكنزية، قبل التجلي، لأن ما وقع به التجلي من الفروع الكونية، أسماء لمسميات متعددة لفظا، متحدة معني، وهي مسندة إلي ما وقع منه الابتداء، وهي الذات العلية الأزلية، لأنها فرع عنها، وتجل من تجلياتها)[2]

الله عز وجل في ذاته هو الظاهر، لكنه كان مستتراعن المعرفة، لعدم وجود العارفين، فأوجد الخلق من الملائكة والإنس والجن وغيرهم، وخص كلا منهم

---

١) المصدر نفسه:ص٤٤

٢) شرح الفتوحات القدسية:ص٧٩–قال ابن تيمية في الفتاوى الكبرى، (٨٨/٥) :ليس من كلام النبيّ صلّى الله عليه وسلم، ولا أعرف له إسنادا صحيحا ولا ضعيفا ،

بمرتبة من المعرفة، أصبح معروفا بما عرّف لهم نفسه.فمعرفته سبحانه درجات لا يحصيها إلا الله، أعلاها منزلة معرفة الكمّل من عباده، وأفضلهم محمد وأهل بيته الطاهرين.ترافق المعرفة منزلة الكمال، فارقي الموجودات هو أكثرهم معرفة بالله تعالى(والحق كما يبدو لنا في تجلياته في الوجود، وهو بهذا المعنى مرادف للخلق؛ولذلك كان للحقيقة الوجودية وجهان:حق وخلق، وهي الواحد والكثير، والقديم والحادث، والظاهر والباطن، والأول والآخر، وغير ذلك من الأضداد.فإذا نظرت إلى الحق من حيث ذاته فهو الناظر إلى نفسه، وهذا مقام الوحدة، وإذا نظرت إليه من حيث تجلياته نظرت إليه من مقام الكثرة)[1].

الله تبارك وتعالى هو الجواد الفياض بكل خير، مقتضى كماله ظهور جوده، لا غاية و لا حاجة وراء فيضه وجوده، بل ذلك هو مقتضى كمال ذاته، فمن كمال ذاته ظهور كرمه وجوده، هو تفضل اقتضت به مشيئته وإرادته على العباد، فتجلّى إلى خلقه بأسمائه وصفاته، ليكون طريقا يصل به الخلق إلى كمال الله.المبتدأ:هو الاسم المرفوع العظيم القدر العلي الشأن العاري عن العوامل أي المنزه عن التأثير والانفعال، إذ هو الواجب الوجود، السابق غير مسبوق، والعامل غير معمول، وهو المؤثر في الأشياء كلها بقدرته وإرادته وقهريته وإحاطته تعالي جده وتعاظم شأنه أن يلحقه نقص أو يحتاج إلي شيء بل هو الغني عما سواه المفتقر إليه كل ما عداه(**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**)[فاطر:آية١٥]

والخبر:هو الاسم المتحد بالذات وإن تعددت أسماؤه ،وهو ما وقع به التجلي من الفروع الكونية،والتجليات الجلالية والجمالية،المرفوعة القدر من حيث أنها سر من أسرار الذات،ونور من نورها، وإن وقع في الظاهر نقص في بعض أنواعها، فمن جهة الباطن عين الكمال.والمبتدأ هو المسند إليه فعلا وإيجادا و اختراعا وتجليا، وهو قسمان عند العارفين(ظاهر بظهور تجلياته، فلا يرون معه غيرا، ومضمر أي خفي عند الغافلين يستدلون بالأشياء عليه، وفي الحكم شتان بين من

١) التصوف، الثورة الروحية في الإسلام:أبو العلا عقيقي، ص١٦٤، مؤسسة هنداوي ٢٠١٧

يستدل به أو يستدل عليه، المستدل به عرف الحق لأهله، وأثبت الأمر من وجودأصله، والاستدلال عليه من عدم الوصول إليه)[١]

والخبر الذي ظهر للعيان من عالمً الغيب إلي عالم الشهادة قسمان أيضا:مفرد ، هو ما ليس له مادة محصورة كالملائكة والجن، وغير مفرد:هو ما له مادة محصورة، هو المركب من جسم ولحم ودم، أو من جواهر حية، والكل منه، وإليه[٢]

عوامل تدخل على المبتدأ والخبر

التكوين:صفة أزلية لله تعالى، تتعلق بتكوينه تعالى للعالم، وتجميعه لكل جزء من أجزائه، لوقت كان الخلق عند الصوفية، ناشئاً عن المحبة، فهي أصل بداية العالم؛فالخالق سبحانه هو الحبيب والمحبوب، وهو المبدأ لكل شيء، وهو الذي يرفع ويزيل ما يريد من الأحكام(نواسخ الابتداء، إشارة إلي نواسخ الأحكام الذاتية، التي تتعلق بالذات القديمة، التي هي مبتدأ الأشياء ومنتهاها، والنسخ في أحكام الشريعة ومعناها، انتهاء الحكم إلي وقت معلوم، ثم يستأنف حكما آخر علي سابق الإرادة، ويكون في شرائع الأمم، وفيً الشريعة الواحدة ينسخ بعضها بعضا، كما هو مقرر في محله، ويكون في الأقضية البارزة إلي عالم الشهادة، فيظهر الله تعالي للملائكة أمور، يعلقها علي أسباب وشروط أنها لا توجد)[٣]

يغفر الله ما يشاء من ذنوب العباد، ويترك ما يشاء فلا يغفره، يمحو ما يشاء إذا تاب العبد، بالتوبة تغفر جميع الذنوب، ويبدل الذنوب حسنات، يمحو الله ما يشاء لمن جاء أجله، ويثبت من لم يأت أجله، (فإذا أراد الله تعالي أمرا، أمر الملك الموكل بذلك الفعل بإبرازه، ثم أظهر خلاف ذلك، ليظهر اختصاصه تعالي بالعلم الحقيقي، الذي لا يتبدل ولا يتغير، وهو أم الكتاب، فيقع النسخ بهذا المعني في السعادة والشقاوة والأعمار، وغيرها من القضايا التي تبرز من عند الحق تعالي، ولذلك كان سيدنا عمر وابن مسعود يقولان:اللهم إن كنت كتبتني من أهل الشقاوة،

١) شرح الفتوحات القدسية:ص٨٠
٢) المصدر نفسه:ص٨١
٣) المصدر نفسه:ص٨٢

فامحني واكتبني من أهل السعادة)[1].لا تبديل لقضاء الله، المحو والإثبات مما سبق به القضاء(وروى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:إن الله سبحانه يفتح الذكر في ثلاث ساعات يبقين من الليل، فينظر في الكتاب الذي لا ينظر فيه أحد غيره، فيثبت ما يشاء، ويمحو ما يشاء، والعقيدة أنه لا تبديل لقضاء الله؛وهذا المحو والإثبات مما سبق به القضاء، وقد تقدم أن من القضاء ما يكون واقعا محتوما، هو الثابت؛ومنه ما يكون مصروفا بأسباب، وهو الممحو)[2]

يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ مما حكم به وقدره على العباد، وَيُثْبِتُ ما يشاء منها(هذا المحو والتغيير في غير ما سبق به علمه وكتبه قلمه، فإن هذا لا يقع فيه تبديل ولا تغيير، لأن ذلك محال على الله، أن يقع في علمه نقص أو خلل، ولهذا قال:(**وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**) أي:اللوح المحفوظ الذي ترجع إليه سائر الأشياء، فهو أصلها، وهي فروع له وشعب)[3]فالتغيير والتبديل يقع في الفروع، كأعمال العباد في اليوم والليلة، التي تكتبها الملائكة(يجعل الله لثبوتها أسبابا ولمحوها أسبابا، لا تتعدى تلك الأسباب، ما رسم في اللوح المحفوظ، كما جعل الله البر والصلة والإحسان من أسباب طول العمر وسعة الرزق، وكما جعل المعاصي سببا لمحق بركة الرزق والعمر، وكما جعل أسباب النجاة من المهالك والمعاطب سببا للسلامة، وجعل التعرض لذلك سببا للعطب، فهو الذي يدبر الأمور، بحسب قدرته وإرادته، وما يدبره منها لا يخالف ما قد علمه، وكتبه في اللوح المحفوظ)[4]

وهب الله سبحانه وتعالى للعبد العقل نورا، يُميز به بين الحق والباطل(هذا النور قد يتغطى بالظلمة الطينية، وهي نشوة الخمر الحسية.وقد يتغطى أيضاً بالأنوار الباهرة من الحضرة الأزلية إذا فاجأته، فيغيب عن الإحساس في مشاهدة الأنوار المعنوية، وهي أسرار الذات الأزلية، فلا يرى إلا أسرار المعاني القديمة، وينكر

١) المصدر نفسه:ص٨٢
٢) تفسير القرطبي:سورة الرعد، آية ٣٩، ص٢٥٤
٣) تفسير السعدي: ص٢٥٤
٤) تفسير السعدي: ص٢٥٤

الحوادث الحسية، فسمي الصوفية هذه الغيبة خمرة، لمشاركتها للخمر في غيبوبة العقل، وتغنوا بها في أشعارهم ومواجيدهم)[١]

الغني من العباد: هو الذي يحصل على الخمرة الأزلية، فبالوصول إلى الله، يستغنى بالله عن كل ما سواه، ويطمئن إلى ما وصل إليه (ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ)(الطمأنينة على قسمين:طمأنينة إيمان، وطمأنينة شهود وعيان.قوم اطمأنوا إلى غائب موجود، وقوم إلى آخر مشهود.قوم اطمأنوا بوجود الله من طريق الإيمان على نعت الدليل والبرهان، وقوم اطمأنوا بشهود الله من طريق العيان، على نعت الذوق والوجدان.وهذه ثمرة الإكثار من ذكر الله)[٢]

الشُّهُودُ عند الصوفية: هو معاينة عظمة الله عز وجل، في مخلوقاته لدى المريد، والكشف الأعظم، المعبر عنه بمطالعة الجمال الإلهي، والفناء عن كل شيء، إلا عن الله تعالى، لا يرى في الوجود إلا الله، وأن كل شيء لله، ومن الله وبالله؛فنسب كل شيء إلى الله، ورأى الله في كل شيء، هو الفاعل والمدبر، رأى الله في كل شيء رؤية معنوية، لا مادية تؤدي إلى الحلول أو وحدة الوجود(طمأنينة العيان لأهل الشهود والاستبصار من خاصة المقربين.أهل الأولى يستدلون بالأشياء على الله، وأهل الثانية يستدلون بالله على الأشياء، فلا يرون إلا مظهر الأشياء.وشتّان بين مَن يستدل به، أو يستدل عليه، المستدل به عرف الحق لأهله، وأثبت الأمر من وجود أصله، والاستدلال عليه من عدم الوصول إليه. وإلا فمتى غاب حتى يستدل عليه! ومتى بَعُدَ حتى تكون الآثار، هي التي توصل إليه؟!كما في الحِكَم)[٣]

تزيد الطمأنينة: بحصول السالك على العلم اللدني، وحقق معرفة الله، بموالاته للطاعات وتكثيره للقربات، كالذكر وغيره.وتزيد الطمأنينة بزيارة الأولياء أحياء أو ميتين، وطمأنينة أهل الشهود(زيادتها باعتبار زيادة الكشف وحلاوة الشهود، والترقي في العلوم والأسرار، والاتساع في المقامات إلى ما لا نهاية له، في هذه

١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيدابن عجيبة، سورة البقرة:آية ٢١٩
٢) المصدر نفسه: سورة الرعد :آية ٢٨
٣) المصدر نفسه

الدار الفانية وفي الدار الباقية، ففي كل نَفَس، يُجدد لهم كشوفات وترقيات ومواهب وتُحف، على قدر توجههم وتحققهم)[1]

❁❁❁❁❁

المبحث الثالث
نواسخ الأفعال

يحدث بها التغير والتلوين في حال الموجودات، والتحول من حال إلى حال، فحال الله في الأزل، كان ولا شيء معه، والتغير الطارئ في حال الممكنات، من مرحلة إلى مرحلة، خلال تطور الحياة.فمن شأن هذه الأفعال أن ترفع الاسم وتعظمه وتجله، هو الذي كان مبتدأ الأشياء، وأصل ظهورها ورفعها، لها دلالتها علي تلوين الآثار وتنقلات الأطوار، فتدل بذلك علي عظمة الواحد القهار، وتنصب الخبر الذي هو عبارة عن الأثر، لجريان أحكام الواحد القهار[2]الله تعالى مازال مستمرا في الوجود، باقي لا يفنى، والدوام هو الاستمرار في الوجود لا ينقطع، والثبَات والامتداد قبل الزمن وبعده، لا يطرأ عليه تغير ولا تلوين، ويطرأ على مخلوقاته عبر المراحل المتعددة، في تنقلهم من حال، الذي يجعلهم يقرون بضآلتهم، وعظمة من له الدوام، ولا يتغير من حال إلى حال

نواسخ الحروف

تحمل إن معنى الفعل أكّد(فتسير إلي أحوال الخلق البارزة من حضرة الحق، وذلك ما يعتريها من تأكيد الأمور، والعزم عليها لإدراك نتائجها، دينية أو دنيوية، إذ لا تدرك ً الأمور إلا بالعزم والجد، وتشير أيضا إلي ما يتركب بها، من الرجاء والخوف والتمني والطمع الفارغ، وقد نهي الله عنها فقال:**(وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ)**[النساء :آية٣٢]والمأمور به هو قوله تعالي:**(وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا)**[النساء: آية٣٢])[3]

---

١) المصدر نفسه

٢) شرح الفتوحات القدسية:ص٨٣

٣) المصدر نفسه:ص٨٣

اليقين هو العلم بأسرار الحقائق الدينية، لأهل الظاهر من رجال الدين، الذي يغوص في قلب الحقيقة الدينية لمعرفة أسرارها.و فيأفعال التحويل(تشير إلي أحوال القلوب، فإن منها ما يدخل فيه اليقين الكبير الناشئ عن الشهود والعيان، وهو مقام عين اليقين، وهذا مقام العارفين الراسخين في العلم بالله، ولا سبيل له إلا بصحبته شيخ التربية، والدخول تحت تربيته، ومنها ما يدخلها الظن القوي الراجح، وهي قلوب أهل البرهان والاستدلال، فتارة يقوي عليهم الدليل، فيستشرفون علي عين اليقين، وتارة تتكرر عليهم الخواطر الرديئة، فلا يبقي لهم إلا الظن القوي، ومنهم من تلعب بهم الشكوك والأوهام، فيموتون علي الشك والعياذ بالله)[1]علم اليقين:هو ما يثبته الدليل، فتدرك الأمور على ما هو عليه، وعين اليقين ما ينشأ عن المشاهدة والكشف(فعلم كل عاقل الموت علم اليقين، فإذا عاين الملائكة، فهو عين اليقين، فإذا أذاق الموت، فهو حق اليقين، وقيل:علم اليقين:ظاهر الشريعة وعين اليقين:الإخلاص فيها، وحق اليقين:المشاهدة فيها)[2]

المعرفة بالله تظهر في خمسة أشياء:فمن عرف الله تعالي فيها فهو عارف، ومن جهلها أو أثبتها مع الله فهو تالف

أولها:الكنايات نحو أنا وأنت، فما دمت تقول:أنا أفعل أو أنت فعلت، فأنت جاهل مشرك، وإن غبت عنك وعن غيرك، فأنت موحد عارف

ثانيها:أسماء الأشخاص والأماكن، فإن عرفت الله فيها، فأنت عارف، وإن أثبتها مع الله فأنت جاهل، الأكوان ثابتة بإثباته، ممحوة بأحدية ذاته، ما نصبت لك العوالم لتراها، بل لتري فيها مولاها[3]

الثالث:المبهمات من الكائنات كهذا فعل كذا، وهذه فعلت كذا، فمادام العبد ينسب التأثير للغير، ويتوقع منه ضرر أو نفعا، فهو جاهل بالله

الرابع:المعرفة عند الناس بالرياسة والجاه، كالحكام والقواد، وغيرهما من أهل الرياسة الظاهرة، وكذلك أهل الرياسة الباطنة، كالأولياء والصالحين، فمن عرف الله تعالي فيهم، ورأي أنهم متصرفون تحت قهرية الحق، يتصرفون بقدرته

---

١) المصدر نفسه:ص٨٤

٢) الدررالنقية بمعرفة مصطلحات الصوفية:احمد قرطام، ص٩٣

٣) المصدر نفسه:ص٨٨

وإرادته، ليس بيد أحد منهم شيء، بل ولا وجود لهم مع الحق، فهو عارف، وإن أثبت لهم ضررا أو نفعا، ودخل قلبه منهم جزع أو خوف، فهو جاهل بالله تعالي، دعواه أكبر من قدمه

الخامس: ما أضيف لواحد من هؤلاء كأصحاب العشائر، فهو بمنزلتهم لا حول ولا تأثير، كان الله ولا شيء معه، وهو الآن علي ما عليه كان، نعم الإضافة لها تأثير في المضاف، فمن انضاف إلي أهل العز بالحق، تعزز ودام عزه، ومن أنضاف إلي أهل العز بالخلق أو بالمال مات عزه وعاقبه الذل، وأرباب الصدور العارفون بالله، الذين صدرهم الله تعالي لنفع عباده، والدعاء إليه علي قدم رسول الله صلي الله تعالي عليه وسلم، والساقط هو الجاهل بالله وبأحكامه، كائنا من كان[1]

بقاعدة الضدان لا يجتمعان ينفي ابن عجيبة القول بالحلول بمعنى حلول الله - عز وجل - في مخلوقاته، أو بعض مخلوقاته، أي إثبات وجود الله ووجود الخلق، وحلول أحدهما في الآخر، فالضدان لا يلتقيان و لا يتحدان ولا ينضمان، فلا يجتمع الوجود مع العدم، لا يجتمع الحادث مع القديم، لأنه إذ قرن الحادث بالقديم، زال الحادث وتلاشي، وبقي القديم(وقد تقررأن الحق واجب الوجود، وكل ما سواه عدم على التحقيق، فإذا ظهر الوجود أنتفي ضده وهو العدم، فكيف يتصور أن يحجبه وهو عدم ، فالحق لا يحجبه الباطل قال تعالى:(**فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ**)فلا وجود للأشياء مع وجوده، فأنتفي القول بالحلول، إذ الحلول يقتضي وجود السوي، حتى يحل فيه معنى الربوبية، والفرض أن السوي عدم محض، فلا يتصور الحلول)[2]

وبنفس القاعدة ينفى الاتحاد، الذي معناه كون الشيئين شيئاً واحدا، لأن كل الأشياء في حكم العدم، ولا موجود حقيقي إلا الله(فانتفى القول بالإتحاد إذ معنى الإتحاد هو اقتران القديم مع الحادث، فيتحدان حتى يكونا شيئاً واحداً، وهو محال، إذ هو مبني أيضاً على وجود السوي ولا سوي)[3]

---

١) المصدر نفسه: ص٨٩

٢) ايقاظ الهمم في شرح الحكم:ابن عجيبة:ص ٣٤

٣) المصدر نفسه:ص ٣٥

وقد يطلق الإتحاد على الوحدة:أي اتصال الروح بأصلها بعد صفائها، وهو ما عبر عنه ابن الفارض بقوله:(وهامت بها روحي بحيث تمازجا إتحاداً، ولا جرم تخلله جرم، فأطلق الإتحاد على اتصال الروح بأصلها بعد صفائها، ولذلك قال بعده، ولا جرمتخلله إلخ.فتحصل أن الحق سبحانه واحد في ملكه، قديم أزلي، باق أبدي، منزه عن الحلول والإتحاد، مقدس عن الشركاء والأضداد، كان ولا أين ولا مكان، وهو الآن على ما عليه كان)[1]

قسم ابن عجيبة تجليات الحق تعالى على ثلاثة أقسام[2]

-قسم أظهرهم ليظهر فيهم كرمه وإحسانه، هم أهل الطاعة والإحسان

-قسم أظهرهم ليظهر فيهم عفوه وحلمه، هم أهل العصيان من أهل الإيمان

-وقسم أظهرهم ليظهر فيهم نقمته وغضبه، هم أهل الكفر والطغيان

كيفية ترقي السالك في مقام الفناء

-سالك فقط يشهد الأثر في نفسه، أو يشهد الأثر بالله فهو سالك مجذوب، يقطع مقامات ثلاث(فناء في الأفعال وفناء في الصفات وفناء في الذات أو تقول فناء في الاسم وفناء في الذات وفناء في الفناء وهو مقام البقاء ثم الترقي ما لا نهاية له)

-إذا انكشف للسالك سر توحيد الأفعال وذاق حلاوته وأراد أن يقف مع هذا المقام، نادته هواتف حقيقة الفناء في الصفات للترقي

- وإذا انكشف للسالك عن سر توحيد الصفات ،وأستشرف على الفناء في الذات وأراد أن يقف مع ذلك المقام نادته هواتف حقيقة الفناء في الذات تطلب منه الترقي إلى الفناء في الذات

- وإذا انكشف له عن سر توحيد الذات ،وأرادت همته أن تقف مع ذلك المقام نادته هواتف حقيقة فناء الفناء أو حقيقة البقاء للترقي

- وإذا وصل إلى البقاء ،نادته هواتف العلوم الغيبية وقل رب زدني علماً وقد قال عليه السلام:لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك

-إذا انكشف للمريد عن الفناء في الاسم وذاق حلاوة العمل والذكر وأراد أن يقف معها نادته هواتف حقائق الفناء في الذات تطلب منه الترقي إلى مقام الفناء

---

١) المصدر نفسه:ص٣٥

٢) المصدر نفسه:ص٣٥

- إذا ترقي إلى مقام الفناء في الذات، وذاق حلاوته، ولم يتمكن، وقنع بذلك، وأرادت همته أن تقف مع ذلك، نادته هواتف حقيقة التمكين للترقي(وهكذا كل مقام ينادي على ما قبله يا أهل يثرب لا مقام لكم، وإذا تبرجت أي ظهرت بزينتها ،وحللها للسالك أو للعارف، ظواهر المكونات بخرق عوائدها، وانقيادها له وتصرفه فيها بهمته كالمشي على الماء والطيران في الهواء ونبع الماء وجلب الطعام، وغير ذلك من الكرامات الحسية، وأرادت همة السالك أن تقف مع ظواهرها وتشتغل بحلاوة حسها،نادته هواتف المعاني الباطنة، إنما نحن فتنة لك نختبرك ،هل تقنع بها دون معرفة مالكها ؟ومنشيها المتجلي فيها ،أو تعرض عنها وتنفذ إلى نور معانيها، وشهود مالكها ومجريها،فلا تكفر وتجحد المتجلي بها ،فتنكره، فتكون من الجاهلين)[1]

تنوع أحوال طالبي الوصول[2]

فأهل السير من المريدين، يشهدون الكون ثم يشهدون المكون عنده وبأثره فيمتحق الكون من نظرهم، بمجرد نظرهم إليه، وهذا حال المستشرفين

وأهل مقام الفناء ،يشهدون الحق قبل شهود الخلق، بمعنى أنهم لا يرون الخلق أصلاً، إذ لا ثبوت له عندهم، لأنهم لسكرتهم غائبون عن الواسطة، فانون عن الحكمة، غرقي في بحر الأنوار، مطموس عليهم الآثار، وفي هذا المقام قال بعضهم:ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله

وأهل الحجاب من أهل الدليل والبرهان ،يشهدون الكون، ولا يشهدون المكون لا قبله ولا بعده إنما يستدلون على وجوده بوجود الكون وهذا لعامة المسلمين من أهل اليمين قد أعوزهم أي فاتهم وجود الأنوار ومنعوا منها وحجبت عنهم شموس المعارف بسحب الآثار بعد طلوعها وإشراق نورها لكن لا بد للشمس من سحاب وللحسناء من نقاب

من مظاهر اسمه تعالى القهار، احتجابه تعالى في حال ظهوره، وتفسر ذلك من معاني صفاته تعالى، وانفراده تعالى بالوجود(فاحتجب عنهم بشيء ليس بموجود وهو الوهم والوهم أمر عدمي مفقود فما حجبه إلا شدة ظهوره وما منع الأبصار

---

١) المصدر نفسه:ص٤٠

٢) ايقاظ الهمم في شرح الحكم:ابن عجيبة، ص٣١

من رؤيته إلا قهارية نوره، فتحصل إنفراد الحق بالوجود، وليس مع الله موجود، قال تعالى كل شيء هالك إلا وجهه، واسم الفاعل حقيقة في الحال، وقال تعالى هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وقال تعالى فأينما تولوا فثم وجه الله، وقال تعالى وهو معكم أينما كنتم وقال تعالى وإذ قلنا لك أن ربك أحاط بالناس وقال تعالى " وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى "وقال تعالى "أن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله "الآية وقال صلى الله عليه وسلم أفضل كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد:ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل[1]

الله سبحانه واجب الوجود وجوده ذاتي، واحد في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله هو الظاهر فلا يحجبه شيء، لأنه اقرب للعباد من حبل الوريد، ولولا وجوده ما ظهرت الأشياء(إذ لا وجود للأشياء مع وجوده ولا ظهور لها مع ظهوره وعلى تقدير ظهورها فلا وجود لها من ذاتها فلولا ظهوره في الأشياء ما وقع عليها أبصار من لا وجود لذاته من ذاته.فوجوده لولاه عين محال)[2]

❁❁❁❁❁

المبحث الرابع

مرفوعات الأسماء

الأسماء المرفوعة هي أسماء الحق تعالي وهي كثيرة، قال الله تعالي:(**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**)[الأعراف:آية١٨٠]الذي ورد به التوقيف منها تسعة وتسعون، والذي ظهر منها في الوجود، وقام به عالم التكوين سبعة، هي صفات المعاني:القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام، فالله قادر ومريد وعالم وحي وسميع وبصير ومتكلم، معاني قائمة بذاته تعالى، فظهور الآثار، وهي تجليات الحق تدل علي وجود الأسماء التي تدل علي وجود الصفات، والصفات تدل علي وجود الذات (إذ الصفة لا تفارق الموصوف فمهما ظهرت الصفات ظهرت الذات ، ومهما ظهرت الذات ظهرت الصفات، وهذا معني قول من قال:الذات

١) المصدر نفسه: ص٣١

٢) المصدر نفسه:ص٣٣

عين الصفات أي متلازمان في الظهور والتجلي، وفي الحكم دل بوجود آثاره علي وجود أسمائه، وبوجود أسمائه علي ثبوت أوصافه، وبثبوت أوصافه علي وجود ذاته)[١]

يكشف للسالك أولا عن أسمائه تعالى، ثم يترقي إلي شهود صفاته تعالى، ثم يكشف له عن كمال ذاته (الفاعل الحقيقي هو الله والنائب عنه خليفته، وهو الإنسان الكامل قال الله تعالي:(**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**)[البقرة:آية٣٠]هو آدم وذريته الكمل، والمبتدأ قبل كل شيء هو الله تعالي، والخبر هو الذي تجلي به من الأثر، لأنه يخبر عن الذات وكمالاتها، واسم كان هو الله تعالي لأنه فاعل الكون الذي هو مصدر له، وهو أيضا خبر إن، لأنه به تأكدت النسب وعزم عليها، والتابع للمرفوع هو الولي الكامل، لأنه تابع لله ولرسوله، اللذان هما أصل كل رفعة وشرف وعز[٢]

التوكيـــد

أكد الصوفية إيمانهم بالعمل والعبادة، ووثقوا عقدهم مع الله، ونهضوا واجتهدوا في ملازمة طريق الوصول(التوكيد في الأمور والعزم عليها، والجد في طلبها تابع للمؤكد المطلوب، فإن كان أمرا رفيعا عظيماً كمعرفة الله ورسوله بالعيان، فالتوكيد والعزم يكون بليغا عظيما، فالحضرة مهرها النفوس، فبزل النفس والمهج قليل في حقها، فالله تعالي عزيز لا ينال، إلا بدفع العزيز عندك، وهو نفسك فبقدر إتعابها تكون راحتها، وبقدر بيعها والغيبة عنها، يعظم مقامها، فبقدر الكد والجد ندرك المعالي)[٣]

تباين درجة تحقق المريد من الوصول

المريد في طريقه تتباين درجة تحققه من الوصول، إلى قرب الله تعالى، إلى مقامات ثلاثة:المقام الأول، المقربون، أهل التجريد ظاهرا وباطنا، وأصحاب المقام الثاني الأبرار والصالحون، تحققهم على قدر الجزم والهمة، وأصحاب المقام الثالث الغافلون ، ودرجة تحققهم من الوصول منخفض (وإن كان المؤكد

١) شرح الفتوحات القدسية: ص٧١
٢) المصدر نفسه : ص٧٢
٣) المصدر نفسه:ص٧٨

أي المطلوب متوسطا، كعلم الرسوم وحفظ القرءان، فالتوكيد والعزم يكون متوسطا، فقد يدركه أهل الرياسة والجاه، وأهل الأسباب والشواغل القلبية، بخلاف المقام الأول، فلا يدركه إلا أهل التجريد ظاهرا وباطنا، وإن كانً المؤكد أمرا دنيويا، فالتوكيد والجزم فيه علي قدر الهمة، هذا إشارة إلي قوله:تابع للمؤكد في رفعه، في المقام الأول مع المقربين، ونصبه أي توسطه، في المقام الثاني مع الأبرار والصالحين، وخفضه في المقام الثالث مع الغافلين [١]

من شدة اليقين إلى الوصول، يسخر العارف جوارحه في طاعة الله، ويلزم الخضوع له، ويشعر بكل ما يقدم من طاعات، بالقصور والتقصير في واجبه تجاه الله، وتزيد قوة التحقق واليقين بقيمة، ما يبذله من نفس ومجهود ابتغاء رضا الله تعالى، وغيبته عن حوله وقوته ويقينه، بحول الله وقوته(ويتبعه أيضا في تعريفه، فبقدر كده واجتهاده، يكون تعريفه وكشف الحجاب عنه، وقد يتبعه في تنكيره إن قلت مجاهدته وتفرغه، فيتنكر الحق له علي قدر شغله عنه، ويكون التوكيد والجد في الطلب بالنفس أي ببيعها وبذلها للحتوف والمكاره أولا، وبالغيبة عنها ثانيا، ويكون بالعين أي بالذات بإتعابها في مرضات الله، وبالكل أي بالنفس والروح، وكل ما تملكه تهبه لله، ولمن يعرفك بالله)[٢]

الفـاعل:

لما أيقن العارف، ألا فاعل إلا الله تعالى، عظم قدره، وجل شانه، وخضع لجلاله، وتواضع لكماله، ورأى نفسه مفعولا، فاستقام لعبادته تعالى، فالله(ظاهر عند العارفين، لا يخفي علي أحد عندهم، إلا علي أعمي، ومضمر، أي مستتر باطن عند الغافلين)[٣] **الفاعل الحقيقي:**هو الاسم المرفوع القدر، العظيم الشأن وهو الحق جل جلاله، المذكور قبله فعله عند الذاكرين، والمذكور قبله فعله عند الطالبين السائرين، والمذكور بعده فعله عند العارفين الواصلين، والمذكور قبله فعله عند أهل الدليل والبرهان، يذكرون فعله ويستدلون به عليه

١) المصدر نفسه: ص٩٣
٢) المصدر نفسه: ص٩٤
٣) المصدر نفسه : ص٧٤

أما الواصلون من العارفين فيذكرونه، ويرونه قبل رؤية فعله، فهم يستدلون بالله علي غيره، فلا يرون إلا هو(فرؤية الفعل قبل الفاعل، مقام العموم من أهل الدليل والبرهان، ورؤية الفاعل قبل الفعل أو معه، مقام الخصوص من أهل الشهود والعيان، فأهل الدليل والبرهان عموم عند أهل الشهود والعيان، وفي الحكم من رأي الكون، ولم يشهد الحق فيه، أو عنده أو قبله أو بعده، فقد أعوزه وجود الأنوار، وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار)[١]

لا يرى العارف في الكون إلا الله

فلا يرى شيئا إلا رأى الله فيه، يشهد المريد الكون، ثم يشهد المكون عنده، وبأثره يتلاشى الكون بمجرد نظره إليه، ويشهد أهل مقام الفناء الحق قبل شهود الخلق، فلا يرون الخلق أصلا، استغنوا بنور المعرفة عن أي أثر أو دليل(شتان بين من يستدل به أو يستدل عليه، المستدل به عرف الحق لأهله وأثبت الأمر من وجود أصله والاستدلال عليه من عدم الوصول إليه وإلا فمتى غاب حتى يحتاج إلي دليل يدل عليه، و متى بعد حتى تكون الآثار هي التي توصل إليه)[٢]

لا يوجد من هو أظهر من الله ليتخذه المريد دليلا على وجوده، الله دائما حاضر فلا يحتاج إلى ما يدل عليه، فهو الظاهر الحق، وليس لأحد حق الظهور إلا الله(وفي مناجاة الحكم:إلهي كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج إلي دليل يدل عليك، وفي عبارته نوع من الفرق فلو قال:إلهي كيف يستدل عليك بما هو سر من أسرار ذاتك ونور من أنوار تجلياتك، وقال أيضا كيف تخفي وأنت الظاهر أم كيف تغيب وأنت الرقيب الحاضر، الحق جل جلاله قد تجلي، وظهر في الأشياء كلها ثم بطن في ظهوره، فما ظهر سواه وما تجلي إلا بنور بهائه وسناه لكان أظهر وقد قلت في حيرتي، قال تعالى:(**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**)[الحديد:آية ٣]أي هو أول بلا بداية والآخر بلا نهاية)[٣]

---

١) المصدر نفسه: ص٧٣

٢) المصدر نفسه: ص٧٤

٣) المصدر نفسه: ص٧٤

الله هو الأول:الذي لا ابتداء لوجوده، سابق عن جميع الخلق، تعددت التعريفات لتأكيد ذلك المعنى.الأول:قبل كل شيء بغير حد، كائن قبل وجود الخلق، والآخر بعد كل شيء بغير نهاية، كان موجودا ولا شيء سواه، ويظل كائنا بعد فناء الأشياء كلها.الأول:(هو موضوع التقدم والسبق.ومعنى وصفنا الله تعالى بأنه أول:هو متقدم للحوادث بأوقات لا نهاية لها، فالأشياء كلها وجدت بعده، وقد سبقها كلها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه:(أنت الأول، فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء)الأول:الذي لا قبل له، والآخر هو الذي لا بعد له، لأن(قبل وبعد) نهايتان، فقبل نهاية الموجود من قبل ابتدائه، وبعد غايته من قبل انتهائه، فإذا لم يكن له ابتداء ولا انتهاء، لم يكن للموجود قبل ولا بعد، فكان هو الأول والآخر)[١]

الآخر عند العلماء:الذي لا آخر لوجوده، الذي لا اختتام لوجوده، فهو المتأخر عن الأشياء كلها، يبقى بعد فناء الخلق، فلا انتهاء لوجوده(فالأول:يدل على أن كل ما سواه حادث كائن بعد أن لم يكن، ويوجب للعبد أن يلحظ فضل ربه في كل نعمة دينية أو دنيوية، إذ السبب والمسبب منه تعالى.والآخر:يدل على أنه هو الغاية، والصمد الذي تصمد إليه المخلوقات بتأهلها، ورغبتها، ورهبتها، وجميع مطالبها)[٢]

والظاهر:فيما تجلي به من أسرار ذاته وأنوار صفاته، وهو الباطن في عين ظهوره، ظهر بذاته وبطن بآثار صفاته، وفي الحكم أظهر كل شيء لأنه الباطن، وطوي وجود كل شيء لأنه الظاهر، أي أظهر حس الكائنات بسبب اسمه الباطن، وطوي وجود كل شيء بسبب اسمه الظاهر، إذ لا ظاهر معه، وهذا الأمر لا يفهمه، إلا أهل الأذواق الذين يثبتون الضدين في مظهر واحد، ويعطون كل ذي حق حقه، وحسب من لم يدرك مقامهم، التسليم لما رمزوا إليه[٣]

الله هو الظاهر،على كل شيء دونه،ومن لوازم اسم الله الظاهر،أن يكون فوق كل شيء، فلا شيء أعلى منه، عالم ببواطن الأمور وظواهرها، هو الظاهر

١) الموسوعة العقدية :شرح أسماء الله الحسنى، الأول والآخر ، ١٥٥/٢

٢) المصدر نفسه

٣) شرح الفتوحات القدسية :ص٧٥

والباطن،يتلاشي كل شيء أمام عظمة ذاته وصفاته(ولا يصح أن يكون الظاهر، هو من له فوقية القدر فقط، كما يقال:الذهب فوق الفضة؛والجوهر فوق الزجاج؛لأن هذه الفوقية تتعلق بالظهور، بل قد يكون المفوَّق أظهر من الفائق فيها، ولا يصح أن يكون ظهور القهر والغلبة فقط، وإن كان سبحانه ظاهرا بالقهر والغلبة، لمقابلة الاسم (الباطن)وهو:الذي ليس دونه شيء، كما قابل (الأول)الذي ليس قبله شيء؛ بـ (الآخر)الذي ليس بعده شيء)[١]

الله هو الباطن،العالم ببطائن الأمور، أقرب إلى العباد من حبل الوريد، الذي لا يحس، فلا يدرك بالحواس، يدرك بآثاره وأفعاله(هو المحتجب عن أبصار الخلق، وهو الذي لا يستولي عليه توهم الكيفية، وقد يكون معنى الظهور والبطون احتجابه عن أبصار الناظرين، وتجليه لبصائر المتفكرين.ويكون معناه:العالم بما ظهر من الأمور، والمطلع على ما بطن من الغيوب)[٢]

الراسخون في معرفة الله،هم الذين استبدلوا المساوئ بالمحاسن واستبدلوا من صفاتهم صفات محبوبهم.(هم السابقون الى الله لنجابتهم وهم أهل الجد والقريحة من المريدين)[٣] اجتهد العارف وتنافس في دعوة الحق، فارتقى في سلم التواصل مع ربه، فيبدل الله من مرتبته إلى مرتبة أعلى، فيصير بديلا لمن يعلوه، وصار له بديلا لمن هو دنوه.لم يبدلوا دين الفطرة التي خلقوا عليها، بدلوا اختيارهم بخيار الله، فصاروا أولياء الله تعالى، حولهم من خدام إلى مخدومين، وأمدهم بملائكة يقضون لهم حاجتهم.عن انس بن مالك رضي الله عنه، قال النبي صلى الله عليه وسلم (رُبَّ أشعثَ أغبرَ ذي طِمرَينِ، مُصفَحٌ عن أبوابِ النَّاسِ، لو أقسمَ على اللهِ لأَبرَّهُ)[٤]

رب فقير ضعيف،له منزلة عالية عند الله، صاحب ملابس بالية،لا يقدره الناس، ، لو أُقسِمُ علَي الله تعالي، أن يَفعلَ به كَذا، أو يفعلَ بفلان كذا، يُنفّذُ الله له قسَمَه ويُعطِيْه مُرادَه، لكن هذا الفقير، إن كان سيء المظهر، لكنه حسن القلب

١) الموسوعة العقدية:شرح أسماء الله الحسنى ، ١٥٥/٢
٢) المصدر نفسه
٣) الدرر النقية:ص٤٨، ص٥٢
٤) صحيح البخاري(٢٧٠٣) ، ومسلم(١٦٧٥)

والجوهر، لا يتعلّق قلبه إلا بالآخرة، لو أَقسم على الله في أمر، لمصلحَةٍ دِينية لا لشَهواتِ، لاستجاب لدعوته تعالي ويعطيه مراده، وهذا ما عبر عنه الصوفية بالأبدال، فلم يأتوا بما يخالف الشرع، فقد نص التوجيه النبوي للنَّاسِ؛ألا يَحتَقِروا الضعفاءِ، ويُرغّبَهم في ما طَلَبوا مِن الحقِّ والتَّقوى والعملِ الصَّالحِ الخَفيِّ.

قد يكون للضعفاء مَراتبِ الأصفياءِ الأتْقياءِ، الذين يحقق الله ما طلبوا.فمن أجل خاطر هؤلاء الضُّعفاءِ الطَّائعينَ الخاضعين لله، الذين اصطفاهم الله، وقربهم إليه، ينبت الزرع، ويمطر المطر، ويرفع البلاء، ويقهر الأعداء، بالإخلاص في الاعتقاد،بلا آله إلا الله. بعد أن صفت بصيرة المريد، تنكشف له حقائق التوحيد من الله تعالى، فمصدر علمه هو الله، يغيب عن كل شيء إلا الله(العابدَ ينبغي أن يكون نظرُه إلى المعبود أولاً وبالذات، ومنه إلى العبادة، لا من حيث إنها عبادةٌ صدَرتْ عنه، بل من حيث إنها نِسْبَةٌ شريفة إليه، وَوُصْلَةٌ بينه وبين الحق، فإن العارف إنما يحقّ وصوله، إذا استغرق في ملاحظة جناب القدس، وغاب عما عداه، حتى إنه لا يلاحظ نفسَه، ولا حالاً من أحوالها، إلا من حيث إنها تَجَلٍّ من تجلياته، ومظهرٌ لربوبيته)[1]

البدل أربعة أقسام:الأول بدل الكل من الكل، وهو بدل العارفين، تركوا الكل فعوضهم الكل، والثاني بدل البعض، بدل العابدين، بدلوا بالمعاصي الطاعات، وبدلوا باللذات المجاهدات، والثالث بدل الاشتمال لقوم اشتملت أعمالهم على خوف ورجاء، فأعطوا ما يرجون، وأمنوا مما يخافون، والرابع بدل الغلط، بدل المطرودين، باعوا نصيبهم من القرب بحظوظ عاجلة (إذا أبدل اسم من اسم في مقام الفناء في الذات، فيترقي من اسم العبد إلي اسم الرب، حين تستولي عليه أنوار الحقائق، فيغيب العبد في وجود الرب، وهو مقام الوصال والاتصال، يغطي الحق وصف عبده بوصفه ونعته بنعته، فيوصله بما منه إليه، لا بما من العبد إليه، فيغطي وصف العبودية بوصف الربوبية، ونعت الحدوث بنعت القدم، فيفني الحادث ويبقي القديم، أو فعل من فعل في مقام الفناء في الأفعال، فلا يري فاعلا قط إلا الله، وهذا بداية السالكين ونهاية الصالحين، ووسطه الفناء في

١) البحر المديد في تفسير القران :ابن عجيبة ٥٩/١

الصفات) [1]لا يشعر العبد بشيءٍ من الموجودات؛انعدم إحساسه بأي شيء من الموجودات، إلا استحضار وجود الله ،ومطالعة جمال نور رب العالمين

المتحقق من العباد،على مشاهدة حضرة ربه بنور البصيرة، يبدل ويمحو آثار البشرية لتجريد الإلوهية.توحد كل الموجودات في وجود واحد، فلا موجود إلا الله، تطبيقا لمعنى الإحسان:أن تعبد الله كأنك تراه الذي يثبته كمال التوكل على ربهم وصفاء توحيدهم، ويغيب عن كل شيء سوى الله، وهو الفناء في الله(قال الشيخ أبو العباس المرسي:لله رجال محوا أوصافهم بأوصافه، وأفعالهم بأفعاله، وذواتهم بذاته، وحملهم من الأسرار ما تعجز عنه عامة الأولياء)[2]

الدنيا هي عرش النفس عند ابن عجيبة، فمن أحب الدنيا واعتمد واستند إلى أهلها، صارت الدنيا مالكة له تتصرف فيه كما تحب، ومن ابغضها واستغنى عن أهلها تصير الدنيا تحت تصرفه ، يصيرها كيف يشاء(فيقول الداعي إلى الله – وهو من أهَّله الله للتربية - للمريدين: أيكم يأتيني بعرشها، ويَخرج عنها لله في أول بدايته؟ فمنهم من يأتي بها بعد مدة، ومنهم من يأتي بها أسرع من طرفة، على قدر القوة والعزم والصدق في الطلب، ومن أتى بعرش نفسه، وخرج عنها لله، فهو الذي آتاه الله علماً من الكتاب، وعرف مدلوله ومقصوده)[3]

التدرج في الإعراض عن الدنيا ،من الذكاء والحكمة عند ابن عجيبة، للخروج عنها، والتوجه إلى الله، والوصول إلى الهداية،هو اختبار من الله للمريد، إما الشكر أو الكفر ،وشرح ذلك من خلال عرض الدنيا على ملكة سبا، قال تعالى:**(قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ)**[النمل:آية ٤١](أروها عرشها التي كانت عليه، متغيراً عن حاله الأولى- لأنه كان معشوقاً لها، والآن صار ممقوتاً، لغناها بالله - ننظر أتهتدي إليه، وترجع إلى محبته، فيكون علامة على عدم وصولها، أم تكون من الذين لا يهتدون إليه أبداً، فتكون قد تمكنت من الأنس بالله، فلما جاءت وأظهر لها عرشها اختباراً، قيل:أهكذا

---

١) المصدر نفسه:ص٩٥

٢) المصدر نفسه:ص٩٦

٣) البحر المديد في تفسير القران :ابن عجيبة ١٩٦/٤

عرشك؟قالت:كأنه هو، وأوتينا العلم بالله من قبل هذه الساعة، وكنا منقادين لمراده، فلن نرجع إلى ما خرجنا عنه لله أبداً)[1]

اختص الله تعالى الإنسان بجمال القوامة،عن بقية خلقه من الجن والملائكة، وحسن المظهر، واعتدال الخلقة في اللطافة والكثافة، ومعنى الحس والروح البشري، التي جعلت معرفته، تفوق معرفة غيره من المخلوقات (بخلاف الجن والملائكة، اللطافةُ غالبة عليهم، فمَن كان منهم عارفا، لا تجده إلا متحرفا، غالباً عليه الهيمان والسكر، وأما الآدمي، فمَن غلبت رَوحانيتُه على صلصاليته، ومعناه على حسه، كان كالملائكة أو أفضل، ومَن غلبت طينته على روحانيته، وحسه على معناه، كان كالبهائم أو أضل)[2]

العالم كل ما سوى الله تعالى، هو {**رَبُّ المشرقين وربُّ المغربين**}يفسرها ابن عجيبة بأنه تعالى هو رب مشرق شمس العرفان وقمر الإيمان، ومغربهما عند غين الأنوار والأغيار، فكل ما سوى الله من الكائنات والصور والشهوات، هي أغيار وشواغل تعطل المريد عن الطريق، وفي مقابل الأغيار يوجد الأنوار، تأتي من الله تعالى نور السموات والأرض) مصدر الأنوار التي تدخل قلب العبد، إلهام لأولياء الله الصالحين، تكشف لهم هذه الأنوار، ما خصهم الله به من الأسرار

النور من أسمائه تعالى الحسنى، إذا أشرق نوره على قلب المريد وروحه، غابت ظلمة النفس والهوى، وإذا حضرت الظلمة غربت شمس الروح والقلب{**فبأي آلاء ربكما تُكَذِّبان**}مع ما في ذلك في اللطائف الغامضة، والغوامض الخفية، من عدم سكون الروح والقلب إلى التجلِّي الجمالي، وعدم اضطراب النفس والهوى، بالتجلِّي القهري الجلالي؛لأنَّ الكامل من هذه الطائفة هو الذي يُشاهد الجمالَ في الجلال، والجلالَ في الجمال، فلا يسكن إلى شيء، ولا يقف مع شيء)[3]

يفسر ابن عجيبة قوله تعالى:{**مَرَجَ البحرين يلتقيان**}في الإنسان الكامل يلتقي فيه بحر علم الشريعة، وبحر علم الحقيقة يحكم بينهما برزخ العقل، بالا يتعدى

---

١) المصدر نفسه:١٩٧/٤

٢) المصدر نفسه:١٦٧/٦

٣) المصدر نفسه:١٦٧/٦

احدهما على الآخر، فلا تتجاوز الشريعة الظواهر، ولا تتجاوز الحقيقة البواطن(فمَن خف عقله غلبت إحداهما عليه، إمّا الشريعة، فيكون يابساً جامداً لا يخلو من فسوق، وإمّا الحقيقة، فيكون إما سكراناً أو زنديقاً.{**فبأي آلاء ربكما تُكَذِّبان**}حيث هَدى العبدَ إلى القيام بحقهما، وإنزال كل واحدة في محلها، {**يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان**}فيخرج من بحر الحقيقة جواهرَ الحِكم ويواقيت العلوم، ومن بحر الشريعة مَرجان تحرير النقول، وتحقيق مبانيها، والإتيان بها من معادنها)[1]

مفاتح الغيب هي أسرار الذات وأنوار الصفات (وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ) {الأنعام :آية ٥٩} ، أو أنوار الملكوت وأسرار الجبروت، لا يعلمها إلا هو، فما دام العبد محجوبًا بوجود نفسه، محصورًا في هيكل ذاته، لا يذوق شيئًا من هذه الغيوب، فإذا أراد الحق جل جلاله أن يفتح على عبده شيئًا من هذه الغيوب، غطى وصف عبده بوصفه، ونعته بنعته، فغيَّبه عن وجود نفسه، فصار هو سمعه وبصره وقلبه وروحه، فيعلم تلك الأسرار به، لا بنفسه، فما علم تلك الأسرار غيره، ويحيط بأسرار الأشياء كلها، برها وبحرها ؛لأنه يصير خليفة الله في أرضه)[2]

الصوفية هم الوارثون للأخلاق النبوية، خلفاء الله في البرية،بالإخلاص في الطاعة، يعطون أنوارا تزيل أغيارهم، وبطاعة أرواحهم يعطون الأسرار(مدد الأولياء من الحقيقة المحمدية،وأن الأولياء إنما هم مظاهر أنوار النبوة،ومطالع شوارقها.وأن أنوار الولاية دائمة الثبوت، للزوم دوام أنوار النبوة)[3].ولأن العبد خليفة الله في أرضه، فكل ما يتجلي به تعالي في قلب العارف منحة الهية جزاء تنفيذه لأوامر الله

قد يستغرب البعض ويأخذ على الصوفية، أنهم قد غالوا في رفع مقام الأولياء، وفيما خصهم الله من عظيم الكرامات، وأن يطلعهم الله على ما خصهم به من الغيب، فقد أعطاهم الله سبحانه من الإيمان واليقين ومعرفتهم بربهم، وهو أعظم من الاطلاع على الغيب أو الطيران في الهواء أو المشي علي الماء(لأن كل خير

---

١) المصدر نفسه:٢٦٦/٧

٢) البحر المديد :١٢٧/٢

٣) لطائف المنن:عبد الحليم محمود، ص٢٤، ط٢، دار المعارف

من خيور الدنيا، إنما هو فرع الإيمان بالله من أحوال ومقامات وأوراد وواردات، وكل نور وعلم وفتح، ونفوذ إلى غيب، وسماع مخاطبة، وجريان كرامة، وما تضمنه الجنة من حور وقصور وانهار وثمار وكان به أهلها فيها من رضي عن الله ورضي من الله ورؤية لله هو من نتائج الإيمان ووجود أثاره وإمداد أنواره[١]

كيف يستغرب أن يطلع مؤمن على غيب من غيوب الله؟! بعد أن شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم أنه أنما ينظر بنور ربه، لا بوجود نفسه، كذلك الولي إذاأطلعه الله على غيب من غيوبه، فإنما ذلك لانطوائه في جاه النبوة، وقيامه بصدق المتابعة، فما رأى ذلك بنفسه، وإنمارآه بنور متبوعه[٢].يجب دوام أنوار الأولياء لدوام ظهور نور رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم، فالأولياء آيات الله يتلوها على عباده، بإظهاره إياهم واحدا بعد واحد[٣]

يرد الله الفضل لأهله، فيكافئ العباد على طاعتهم بعطاء أكرم الأكرمين(**وما تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الَّذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَألَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شَيءٍ أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ المُؤْمِنِ؛يَكْرَهُ المَوْتَ، وأنا أَكْرَهُ مَساءَتَهُ**)[٤]

يرتقي العبد من مقام الى مقام، كلها مراتب في الولاية لله تعالى.تصف مكانة عباد الله في خضوعهم لله، تصف قدر حبهم وتعلقهم بالله، ومدى علمهم ومعرفتهم بالله، فهم العلماء والعارفون بالله، والعاملون بعلمهم.القطب:هو الذي تعامل مع كل مسلك في الوصول إلى الحقيقة، واجتاز كل درجة من درجات الولاية.وله قدم راسخ في كل مقام، والفرد من الأقطاب، من له مزية التقدم بالنظر في العالم (القطب هو القائم بحق الكون والمكون، وهو واحد، وقد يطلق

١) لطائف المنن: ص٦٩
٢) لطائف المنن:ص٦٨
٣) المصدر نفسه:ص٣٦
٤) صحيح البخاري :رقم (٦٥٠٢)

على من تحقق بمقام، وعلى هذا يتعدد في الزمان الواحد، أقطاب في الأحوال والمقامات والعلوم)[1]

ما وصل الأولياء إلى تلك المنزلة، إلا بما امتازوا به بجميل الصفات، فهم ميسرون لا متشددون، متبعون لشرع الله لا مبتدعون، مطيعون للعلماء راضون بالقضاء، كرماء النفس والخلق، يتجنبون الحرام يتسابقون إلى رضا الله.أما إذا رأى العبد في نفسه تمام الإدراك، فعظم من شانها، ورفع من قدرها، فيرى أنه ليس في حاجة إلى الحرص على العلم، أو الاجتهاد في العمل، فهو في ذلك مدع، لأنه توهم في نفسه الكمال، لما حقق من العلم والعمل، مع رغبته في نصيب أكبر، من فضائل الدنيا والآخرة، لا يتبرأ منها إلا بالإخلاص، الذي يزيد معرفته بالله، وأن كل ما سواه باطل

❁❁❁❁❁

المبحث الخامس:منصوبات الأسماء

كما يتبع الوصف للموصوف، يتبع العبد أعماله لا تفارقه، كل خير وشر فعله يلاحقه.المقامات المنصوبة للمريد، إذا قطعها وصل إلى خمسة عشر:التوبة، ثم التنبه، ثم الاستقامة، وهي متابعة الرسول عليه الصلاة والسلام في أقواله وأفعاله وأحواله، ثم الخوف، ثم الرجاء، ثم الصبر، والشكر أي الصبر علي البلية والشكر علي النعمة من حيث أنها نعمة، ثم الورع، ثم الزهد ، ثم التوكل، ثم الرضا، ثم التسليم، ثم الإخلاص والصدق وهو التبري من حوله وقوته، ثم الطمأنينة، ثم المعرفة، ثم المحبة، ثم المشاهدة وهي الرسوخ والتمكين من شهود الحق[2]

الوصف تابع للموصوف لا يفترقان أبدا، وبعبارة أخري الصفة لا تفارق الموصوف، فمهما ظهرت الصفات ظهرت معها الذات، ومهما تجلت الذات تجلت الصفات، فانمحي حينئذ وجود الأثر بظهور المؤثر، إذ الأثر لا يظهر إلا بقدرة، وهي لا تفارق الذات

---

١) الدرر النقية:ص٤٣

٢) المصدر نفسه: ص٩٧

-منهم من يعبر عن إتباع الصفة للموصوف بقوله:الذات عين الصفات (وإنما أراد بالعين التلازم في الظهور، وإلا فالذات سر لطيف لا تدرك، والصفات معني قائم بها، وإن شئت قلتنعت الذات تابع لها في الكمالات، وعدم النهايات، فكما أن الذات لا نهاية لها ولا حصر، فكذلك الصفات لا نهاية لها ولا حصر، فأسرار الذات وكمالاتها خارجة عن مدارك العقول، وكذلك الصفات)[١]

- أو تقول:وصف الذات من مظاهر الانكشاف(نعت الذات في مظاهر التجليات تبع للمنعوت في تلوناته، فقد سئل الجنيدعن التوحيد فقال:لون الماء لون إنائه يعني أن أسرار المعاني حين تجلت في قوالب الأواني تلونت بتلون القوالب بين أبيض وأسود وأحمر وأصفر وأخضر إلي غير ذلك من ألوان الخمرة الإلهية في حال التجلي، وأما قبل التجلي فهو سر لطيف، له قدرة علي التجلي كيف شاء، وإنمااختلفت ألوانه بعد التجلي)[٢]

تلون العبد:هوتغيره في الأحوال، وزيادة من تعظيمه الله تعالى، والترقي من حال إلى حال، فإذا وصل تمكن، والتمكن من الأمر، إذا ناله و ظفر به، و صار له قدرة عليه وسلطانا.ويصل صاحب

التلوين إلي أكمل المقامات، عندما ينكشف له حقيقة معنى قوله تعالى:**(كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ)**{ الرحمن:آية ٢٩}التي تشير إلى اختلاف تجلياته تعالى في كل لحظة، ويظهر للقلوب من أنوار الغيوب(فيتجلّى في ساعة واحدة بقبض قوم وبسط آخرين، ورفع قوم وذلّ آخرين، وإعطاء قوم ومنع آخرين، وترقية قوم وخفض آخرين، إلى ما لا نهاية له، ولذلك تختلف الواردات على قلوب العارفين، ينسخ بعضها بعضاً، ولذلك أيضاً تجد العارفين لا يسكنون إلى شيء، ولا يقفون مع شيء، ولا يُعولون على شيء، بل ينظرون ما يبرز من عنصر القدرة، فيسيرون معه، إذا أصبحوا نظروا ما يفعل الله بهم، وإذا أمسوا كذلك)[٣]

السالك في طريق الله صاحب أحوال ومقامات، الأحوال مواهب والمقامات مكاسب،ومعنى التلوين:أن السالك يتغير من حال إلى حال، فيتلون قلبه بتغير

١) المصدر نفسه: ص٨٥

٢) المصدر نفسه : ص٨٥

٣) البجر المديد في تفسير القرآن المجيد:تفسير سورة الرحمن اية ٢٩

الأحوال، ويتنقل من حال إلى حال.هو صفه دائمة من صفات أرباب الأحوال، ويستمر في التغيير حتى يترقى إلى حال البقاء(وصاحب التلوين أبدا في التغير والزيادة، وصاحب التمكين وصل ثم اتصل أي أنه انتهى إلى غاية الواصلين، وارتقى بالكلية من مقام البقاء في الله، فظفر بالطمأنينة الكبرى والنعمة العظمى، واستولى على قلبه سلطان الحقيقة، وإذا دام للسالك هذا الحال فإنه صاحب تمكين)[1]

و نهاية التمكين:هدمت المعرفة أركانَ عزائمهم، وحلّت عقدهم، فهم في عموم أوقاتهم لا يُريدون ولا يختارون ولا يُدبّرون؛لِعلمهم أن الأمر بيد غيرهم، ليس لهم من الأمر شيء[2]في مقام التمكين، صفة أهل الحقائق، تختص به النفس الكاملة التي يكون سيرها بالله، واردها النور والمعرفة والحقيقة والشريعة، كملت حقيقة النفس، واستقرّت فيها أنوار القرب من الله تعالى، عرفت الله حقّ المعرفة، وذلّت له، وخضعت لعظمته، وخشعت لجلاله

التلوين:صفة أرباب الأحوال.فما دام العبد في الطريق، فهو صاحب تلوين، لأنه يرتقي من حال إلى حال، وينتقل من وصف إلى وصف، فإذا تمكنوا من دوام الشهود، ورسخت أقدامهم في معرفته تعالى، حصل لهم حق اليقين، وهي نهاية النعمة وغاية السعادة من التلون متابعة النعت للمنعوت في رفعه، أن يتجلَّى سبحانه باسمه الباطن لنفس من تجلى له، فيدرك صاحب هذا المقام بعين البصيرة،عالم الحقائق وعالم المعاني، فلا يبقى لديه إشكال، ولا احتمال فيما يدركهما دام يشهد العبد أنه بين يدي الله، والحق تعالى يراه فهو في حضرته

يخرج العبد من الحضرة،إن حجب عن الشهود في الحضرة، يحضر الحق بالقلب بدلالة اليقين، فيصير الحكم الغيبي لديه مثل الحكم العيني.يغيب القلب عن كل ما سوى الله بالعلم، حتى عن نفسه، فلا يراها.فيتطهر من نفسه بشهود ربه، ويتطهر من شهود الحس بشهود المعنى، فيغيب ويتطهر من العيوب كلها، لأن حرام على القلب الغافل أن يكون في حضرة ربه (وهي ثلاثة أقسام:حضرة القلوب، وحضرة الأرواح، وحضرة الأسرار.فحضرة القلوب للسائرين، وحضرة

---

١) المصدرنفسه

٢) المصدر نفسه

الأرواح للمستشرفين، وحضرة الأسرار للمتمكنين.أو تقول:حضرة القلوب لأهل المراقبة، وحضرة الأرواح لأهل المشاهدة، وحضرة الأسرار لأهل المكالمة.وسر ذلك أن الروح ما دامت تتقلب بين الغفلة والحضرة، كانت في حضرة القلوب، فإذا استراحت بالوصال سميت روحاً، وكانت في حضرة الأرواح، وإذا تمكنت و تصفت، وصارت سراً من أسرار الله، سميت سراً، وكانت في حضرة الأسرار)[١]

حضور القلب بدلالة اليقين، يصير به الحكم الغيبي مثل الحكم العيني(والمراد من الغيبة:غيبة القلب عما دون الحق، إلى حدّ أن يغيب عن نفسه، حتى أنه بغيبته عن نفسه لا يرى نفسه.وعلامة هذا:الإعراض عن حكم الرسوم، مثلما يكون النبي معصوماً عن الحرام، فالغيبة عن النفس حضور بالحق، والحضور بالحق غيبة عن النفس)[٢].العلم الأصلي هو الذي لا يتبدل ولا يتغير، ولا يصح فيه نسخ الأخبار(لأنه يلزم عليه الكذب، ويقع النسخ أيضا في واردات القلوب الصافية، فيتجلي في قلب الولي أمر، فيخبر به، ثم ينسخه الله تعالي ويظهر خلافه، ولا يقدح ذلك في ولايته، ولا رتبته، وقد يشار هنا بالنسخ إلي تلوين الخمرة الأزلية، بالفروع التكوينية، عظم قدراته سبحانه)[٣]

خلق الله سبحانه وتعالى الموجودات، عبر مراحل تكوينية عجيبة.قال تعالى:(**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ**)[الأنبياء:آية ٣٠]وجعلنا من ماء الغيب- وهي الخمرة الأزلية- كلَّ شيء حي، أفلا يؤمنون بوجود هذا الماء عند أربابه؟وجعلنا في أرض النفوس جبالاً من العقول، لئلا تميل إلى الهوى فتموت، وجعلنا فيها طُرقًا يسلك منها إلى الحضرة، وهي كيفية الرياضة وأنواع المجاهدة، وهي طرق كثيرة، والمقصد واحد، وهو الوصول إلى الفناء والبقاء، التي هي معرفة الحق بالعيان، وهو قوله تعالى:(**لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ**) إلى الوصول إلى حضرتنا[٤]

---

١) إيقاظ الهمم شرح الحكم:ابن عجيبة، ص٢٦

٢) المصدر نفسه:ص ٢٩١

٣) شرح الفتوحات القدسية:ص٨٣

٤) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ابن عجيبة،سورة الأنبياء،آية ٣٠

حضـور قلـوب الواصـلين مـع الله تعالى،حـال مقدسـة منزهـة لا يـدخلها إلا المطهرون،فحرام على قلوب الغافلين الدخول في ساحة الحضرة،حتى يتطهروا من الغفلة، وعن ملذات الحياة الدنيا، والبعد عن كل ما سوى الله، وكل عملهم بالله ولله، لا حول لهم ولا قوة إلا بالله، فلا يصل إلى الحضرة إلا من تجرد من قوته وعزمه.تتجلى معاني أسماء الله الحسنى على الواصلين، فيتحققون أن الله تعالى هو الظاهر بتعريفه وآياته وآثاره وأفعاله، واضح الربوبية بالدلائل.

الله هو الباطن، المحتجب عن الكيفية وعن التكييف والأوهام.يفتقر العبد إليه في أن يظهره في المواطن التي يرتضيها، فيظهره بالأفعال الحميدة، ويستره فيما لا يرتضيه فيبعده عن الصفات المذمومة أن تقوم به.فإذا تجلي الله تعالى باسمه الباطن على باطن العبد، يدرك بعين البصيرة لا بالفكر والنظر عالم الحقائق وعالم المعاني(المتقابلان لا يجتمعان كالضدّين وكيف جمعتهما في ذات واحدة، قلت:لم يتواردا على محل واحد،بل ذلك باعتبارين،فاسمه الظاهر باعتبار الحس في عالم الحكمة، واسمه الباطن باعتبار المعنى في عالم القدرة، فالحكمة ظاهرة والقدرة باطنة.أو تقول:ظاهر باعتبار مظاهر الربوبية، باطن باعتبار قوالب العبودية.أو تقول:ظاهر باعتبار التعريف باطن باعتبار التكييف.فالذات واحدة والاعتبارات مختلفة وذلك كثير)[1]

المصـــدر:ما صدر عن الحق من أنوار تجلياته، وأسرار ذاته، فما أقام الله تعالى من الكائنات ليعرف بها ويشهد فيها، وما نصبت الكائنات لتراها، بل لتري فيها مولاها(وإنما يجئ هذا، ويكشف عن تصريف الفعل ثالثا في فعل الشريعة والطريقةً والحقيقة، فتشتغل النفس أولا بالشريعة، حتى ترتاض بها وتذوق حلاوتها، ويشتغل القلب.ثانيا بأفعال الطريقة فيتخلي من الرذائل ويتحلي بالفضائل وتشتغل الروح ، ثالثا بالفكرة في تحر الحقائق حتى تستمر معها ويرسخ قدمها في شهود أنوارها)[2]

كل ما صدر عن الله تعالى من الكائنات علي قسمين:(قسم غلب معناه علي حسه فصار معنويا، كالملائكة والعارفين من بني آدم، وقسم غلب حسه علي معناه

---

١) المصدر نفسه:ص ١٥٢

٢) شرح الفتوحات القدسية: ص١٠٠

كالجمادات، ويلحق بهم من غلب حسه علي معناه وشهوته علي عقله من بني آدم وهم المنهمكون في الغفلة، المنكبون علي الدنيا بالكلية، فانطمست بصيرتهم، واتسعت دائرة حسهم،فهمً مسجونون بمحيطاتهم،محصورون في هيكل ذاتهم، عائذا بالله من حالهم)[1]

قسم بعض العارفين الخلق على ثلاثة أقسام:

-قسم لهم عقل بلا شهوة، هم الملائكة

-قسم لهم شهوة بلا عقل، هم البهائم وسائر الحيوانات

-وقسم لهم شهوة وعقل، هم بنو آدم(فمن غلب عقله علي شهوته، كان كالملائكة أو أفضل، ومن غلبت شهوته علي عقله، كان كالبهائم أو أضل، وما شرف الله الآدمي وكرمه إلا بمجاهدة نفسه، فمن جاهد نفسه وزجرها، حتى ملكها وظفر بها، كان أشرف من الملائكة، إذ لا مجاهدة لهم، فلا تكمل مشاهدتهم كمال الآدمي)[2]

❁❁❁❁❁

المبحث السادس:الحـــــال

لا يكون صاحب الحال إلا معرفة.يتوجه العارف إلى الله تعالى في إصلاح حاله، يحرص على إخفاء نفسه كي لا يعرف، فأحواله مع الله مستقيمة منتصبة.وفعل الحال مرفوع، ما لم يدخل عليه ناصب أو جازم، فالناصب رؤية العبد لفعله، والجازم فترته عن سلوكه، فإذا سلم العبد من الملاحظة والفتور، ارتفع قدره عند العزيز الغفور

الحال عند الصوفية:وارد يرد علي القلب من كشف أسرار الذات وأنوارها، وتدهش الروح وتهين وتسكر، ويظهر ذلك علي الجوارح، فيهتز الرأس ويشطح البدن، ويقال فيه الوجد، وربما وقع صاحبه في المهالك وهو لا يشعر، وقد حكي أن الشبلي أخذه حال في وضع مقصبة فيه، بقية من قطع قصب، فقام عليها،

١) المصدر نفسه :ص١٠٠

٢) المصدر نفسه :ص١٠١

فدخلت في رجله، فمات من ذلك، وقد مات كثير من الصوفية بالحال[1].الحال مقدمة المقام، عندما يشتغل الإنسان بالذكر، يطمئن قلبه ثم يزول الاطمئنان،هذا حال يرد على القلب فجأة، دون تعمد، و يزول بسرعة، فإذا داوم الإنسان على الذكر، استمر اطمئنان قلبه، هذا مقام استمرار الحال واستقراره ودوامه، ليصبح صفة دائمة لصاحبه

بعد الحال المقام، هو السكون والطمأنينة بالخروج من السكر إلي الصحو، فتطمئن الروح، وتسكن في مقام المشاهدة في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وفي هذا المقام قيل للجنيد مالك كنت تتحرك عند السماع وترقص، واليوم لم يظهر عليك شيء من ذلك فقرأ:(وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ)[النمل :آية ٨٨].من يبقي في الحال بعد تمكنه في الشهود، فناء القلب عن شهود ما سوى الله، يكون قطبا في الأحوال(إلا أن صاحب المقام يؤهل للإقتداء والاهتداء، بخلاف صاحب الأحوال فلا يقتدي به في حال سكره، وقل من ينجح علي يديه، لصعوبة تربيته كحال أبي الشتاء الخمار، فقد حكي أنه كان يعلق المريد رأسه أسفل ورجله فوق، ويوقد النار تحته، فأول السير علم ثم عمل ثم حال، وهو الذوق، ثم الشرب ثم السكر ثم المقام، وهو الصحو)[2]

الأحوال توهب لمن تحرك في جلبها، والمقامات مكاسب، يكسبها المريد من تقدم الأحوال عليها، كأنها نتائجها، كخرق العوائد، وحضور حلق الذكر، والسماع مع تفرغ الباطن من العلائق، ويستجيبَ اللهُ لدعاءَ المريد ، فيخرقَ المألوف، ويُذلِّلَ له الصعب، إذا عبدِ الله و اتَّقاهُ حقَّ تُقاتِه، ولم تكن الدنيا أكبرَ همِّهِ ومبلغَ عِلمِه، و يخترقَ عوائدَ نفسِه، فلا تتسلَّطَ عليه.الحال وصف فضلة، محض فضل وهبة للمريدين السائرين، يرفعهم من حال إلي حال، ومن مقام إلي مقام(وأول الأحوال وارد الانتباه، فينتبه من نوم البطالة والتقصير إلي حال الجد والتشمير، ثم وارد اليقظة فينتبه من نوم الغفلة إلي حال الذكر الدائم، ثم وارد السير فيتجرد من

١) المصدر نفسه:ص ١٠٦

٢) المصدر نفسه:ص١٠٧

العلائق، لتشرق عليه أنوار الحقائق، ثم وارد الوصال فيخرج من سجن الأكوان إلي شهود المكون)[1]

الأحوال الصافية توافق الشريعة المحمدية، تدل على صفاء باطن المريد، ومن كانت الأحوال الظلمانية تخالف الشريعة، وتعلن أن صاحبها باطنه ظلماني(لا صفاء فيه، فصفاء الظاهر من صفاء الباطن، وتخليط الظاهر من تخليط الباطن، ما تنضح الأواني إلا بما سكن فيها، والأحوال الصافية تظهر نتائجها علي صاحبها، فالوارد الرباني يثمر أحوالا سنية، فيعقبه الزهد والورع، والخشية والهيبة، والرزانة والطمأنينة)[2]

الوارد الرباني، يعقبه السكينة والوقار والتواضع والسخاء والكرم، وغيرها من الأحوال السنية، والوارد الشيطاني تعقبه، القساوة والتكبر والرغبة في الدنيا والجاه، وغير ذلك من الأخلاق الذميمة، سمي الصوفية الحال حالا لتحوله وانتقاله، يتغير الحال لا يستمر بصاحبه(هو ممطر علي القلوب غيث المعارف وعلم الغيوب والأسرار والكشوفات والأنوار، فإذا أودع ما فيه أقام، فلا يطمع في دوامه، بل استغني بالله عن كل شيء، فليس يغنيك عنه شيء، وفي الحكم لا تطلبن بقاء الواردات، بعد أن بسطت أنوارها وأودعت أسرارها، فلك في الله غني عن كل شيء، وليس يغنيك عنه شيء، فكن عبدا لله بلا علة، ولا تكن عبد الحال الفاني لا يغني، ومعني اشتقاقه عندهم ، طلبه واستجلابه لسبب يحركه)[3]

الحال معنى يرد على القلب من غير تصنّع ولا اكتساب، يأتي من عين الجود،لا ببذل المجهود، هو وارد يرد على قلب العابد من صفاء الأذكار، فالصوفي لما زهد في الدنيا رق قلبه، ووضحت أمامه حقائق الأشياء، فظهر له قبح الدنيا، فاجتهد في رفضها، وظهر له حسن الآخرة، فأصر على طلبها، وفاض عليه العلم اللدني، فالأحوال هي(مواريث الأعمال، فمراده بذلك إنها نتائج الأعمال، سماها مواريث، أخذا من قوله عليه السلام:"من عمل بما علم، ورثه الله علم ما لم يعلم

١) المصدر نفسه:ص١٠٧

٢) المصدر نفسه:ص١٠٨

٣) المصدر نفسه:ص١٠٩

"وما كل الأعمال تنتج الأحوال، بل الأعمال الصحيحة الموافقة للشريعة المطهر)[1]

الفناء والبقاء حالان متكاملان،فإذا زهد العبد في الدنيا بقلبه(فإن ذلك يعني،أنه فني عن رغبته في الدنيا وزخرفها،وفي نفس الوقت بقي بالصدق والحق فيها، ومن استولى عليه سلطان الحقيقة،فلم يشهد من الأغيار لا عينا ولا أثرا،أي أنه لم يجد بديلا من الخلق،ولم يهتم إلا بالحق تعالى،ويقال عنه انه فني عن الخلق، وبقي بالحق،أي فني عن بشريته، وبقي مع الله،ولله، وفي الله بروحانيته)[2]

كما يجمع الله بين الفناء والبقاء على قلب المريد،يجمع أيضا بين الحس والمعنى،وبين القدرة والحكمة،وبين الفرق والجمع(فالغيبة عن أحد الضدين فناء، ورؤيتهما معا بقاء،فالبقاء اتساع في الفناء ، بحيث لا يحجبه جمعه،عن فرقه، ولا فنائه عن بقائه،ولا شهود القدرة عن الحكمة،بل يعطي كل ذي حق حقه، وقد يطلق الفناء على التخلي والتحلي،فيقال فني عن أوصافه المذمومة، وبقى بالأوصاف المحمودة)[3]

قول أهل الحقيقة:أن الضدين والأضداد تجتمع في محل واحد،معناه مع اختلاف الحيثية والجهة،لا تجتمع أبدا في محل واحد،إلا مع اختلاف الحيثية،فالربوبية والعبودية قد يجتمعان في محل واحد،كالآدمي مثلا،العبودية من حيث الغالب الحسي،والربوبية من حيث المظهر المعنوي(العبودية مرتبة علي الحس البشري، والربوبية مرتبة علي الأمر المعنوي،العبودية ظاهرة،والربوبية كامنة،وكذلك القدم والحدوث، القدم من جهة معناه،والحدوث من جهة حسه العارض ظهوره، وكذلك العز والذل،والغني والفقر، فالعز والغني محلهما الظواهر، وقد تجتمع فيه في وقت واحد، لكن مع اختلاف الجهة كما قلنا، ومن يقول:إن الضدين والأضداد تجتمع في محل واحد، مع اتحاد الجهة والوقت فجاهل،لأن القدرة لا تتعلق بالمحال، إذ لو تعلقت بالمحال للزم تعلقها بإعدام الذات العلية،واثبات الشريك لله

---

١) حسن التصرف لشرح التعرف:على الدين القونوي الشافعي:تحقيق طه حبيش، ٩/٣، ط١

٢) معجم الصوفية:حسن الشرقاوي، ص ٢٢٨

٣) معراج التشوف الى حقائق التصوف:ابن عجيبة ، ص٩٩

تعالي، وهو هوس عظيم لا يقول به عاقل)[1]الضدان:صفتان وجوديتان يتعاقبان في موضع واحد،يستحيل اجتماعهما كالسواد والبياض[2]،صفتان متعاقبتان على شيء واحد،لا ذاتان مختلفتان،كالإنسان والفرس،لا يتوقف إدراك أحداهما على الآخر،مثل أسود وأبيض.**الأضداد علي قسمين:**

الأول أضداد عقلية:مستحيلة عقلا، أو ممتنع لذاته، كخلق إله مثله تعالى، أو خلق صخرة لا يقدر عليها، لأن أي شيء مخلوق لا يكون إلها، ولا يعجز عنه من خلقه.والجمع بين الضدين، ككون الشيء أسود وأبيض في نفس الوقت، فهذا يقطع العقل باستحالة وجوده، فلا يكون شيئا، وإنما هو عدم

المستحيل العقلي هو المستحيل الذاتي، الذي يترتب على وجوده المحال، وهو قلب الحقيقة، بأن المعدوم صار موجودا، لا تتعلق قدرة الله به، لأن ليس به حقيقة الإمكان، الذي يترجح بين الوجود تارة، والعدم تارة أخرى، بل هو عدم محض.في الوجود(اجتمعت فيه أضداد كثيرة عقلية وعادية لكن مع اختلاف الحيثية أو الجهة، فتحصل أن الأحكام العقلية الواجب والمستحيل والجائز لا تنخرم عند أهل الباطن، وإنما بعض الممكنات عند أهل الظاهر تصير واجبة عند أهل الباطن لجمعها بأصلها، ومشهود الحق فيها، والجائز عند أهل الباطن هو تلوين الخمرة علي سابق المشيئة)[3]

الثاني أضداد عادية: مستحيلةللغير، يتحقق إذا أراده الله تعالى، تتعلق به قدرته، لأن به طبيعة الإمكان، التي تتعلق به قدرة الله تعالى، فهو موجود تتغير صفته، هو ما يحدث به خرق العادة، على يد الأنبياء بالمعجزة، وعلى يد الأولياء بالكرامة،وعلى يد الكاذبين بالاستدراج.المستحيل العادي، كطيران الإنسان في الهواء،أو إحيائه الموتى،أو تكليمه الجماد،أو مكوثه في النار دون أن تضره،أو انقلاب الجماد حيوانا

هذا المستحيل، يجعله الله ممكنا، ويصيِّره أمرا واقعيا، حين يشاء، وهو ما يسمى بخرق العادة، ويحصل هذا معجزة لنبي، أو كرامة لولي، أو استدراجا لكافر

---

١) شرح الفتوحات القدسية :ص٨٧

٢) التعريفات:ص١٣٠

٣) شرح الفتوحات القدسية :ص ٨٨

غوي، كالدجال، أو لما شاء الله من الحكم، التي يستأثر بها على عباده.فهذا كله مقدور لله تعالى، وقد وقع، ولا يزال يقع منه الكثير(أما الضدان العاديان فيجوز اجتماعها في محل واحد، إذ القدرة صالحة لذلك، ولم تقع في عالم الحكمة إلا معجزة كنار إبراهيم، وإنما وقعاجتماعها مفترقة المحل، مع اتحاد الوجود عند أهل الباطن، فالماء في محل والنار في محل، وكذلك الحر والبرد، والموت والحياة والجنة والنار، ولو جمع الله ذلك في محل واحد، لكان جائزا)[1]

التمييز:تفسير ما أبهم، وتبيين ما لم يكن يفهم، بالعلم ميز العلماء بين الحقوالباطل، والتوجه إلى السلوك السوي، وترك الباطل، ويكون التمييز بعد تمام الكلام، فتفقه العارفون ثم اعتزلوا، وبرعوا في العلم وتميزوا، فلما وصلوا إلى رتبة التمييز، جندهم الله تعالى لإصلاح عباده، وميزهم فأستخلصهم لوداده

العارف هو الذي يحصل على التمييز بين الضدين،فيميز بين الربوبية والعبودية في مظهر واحد،وبين الروحانية والبشرية،وبين الحس والمعني،وبين القدرة والحكمة،وبين الأمر والخلق،وبين الشريعة والحقيقة،وبين الفناء والبقاء، وبين السكر والصحو(وسائر الأضداد الموجودة في الكون،الذي وقع به التجلي بين الربوبية والعبودية، فالربوبية محلها البواطن، والعبودية محلها الظواهر، وهذا من عجائب أسرار الربوبية، إن ظهرت في قوالب العبودية، ولذلك تعجب صاحب الحكم العطائية حيث قال:سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية، وظهر بعظمة الربوبية ، في إظهار العبودية)[2]

أظهر الله بربوبيته العظيمة آثار العبودية على عباده،بأحوال تطرأ عليهم تظهر افتقارهم إليه،فقد خص الأولياء بالمعارف والأسرار،بما لا يعرفه الكثير من العباد،فنزهوه عما لا يليق به،فبعجز العباد تتحقق قدرة الله،وبفقرهم يتأكد غناه، ويثبت له العزة والاستعلاء.وإذا لم يراع التمييز بين الضدين،والميل إلى أحدهما،تضعف الحكمة عند الصوفي(وأهل السنة نظروا إلي تصرف القدرة مرتدية برداء الحكمة،وهو عين الكمال،إلا أن الحكمة عند الصوفية:أعم من

١) المصدر نفسه:ص٨٧

٢) المصدر نفسه:ص١١٠

الكسب عند أهل الظاهر،ولا يفرق بين القدرة والحكمة إلا أهل الشهود والعيان)[1]

يتدرج أهل الخلق والأمر حسبما اقتضته حكمته تعالى لا يكون في ملكه تعالى شيء بغير مشيئته، عموم ملكه يستلزم إثبات القدرة، لا يكون في خلقه وأمره، ما لا حكمة له(أما أهل الخلق والأمر:فالخلق عبارة عن خلق الأشياء بالتدريج حسبما اقتضته الحكمة، والأمر عبارة عن إبراوه في لحظة كما هو شأن القدرة، قال تعالي:(أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ)[الأعراف:آية٥٤]إلا أن الأمر لا ينفك عن الخلق، إلا في المعجزة للنبي أو الكرامة للولي،كما لا تنفك القدرة عن الحكمة، لأن عالم الخلق من جملة الحكمة، التي وقع بها الاستتار لسر القدرة)[2]

في الشريعة يقوم البدن بوظائف العبودية،وفي الطريقة يقوم القلب بحقوق الإلوهية.وفي الحقيقة،يشاهد العبد الربوبية،إذ الطريقة إلى الله تعالى، ظاهرها الشريعة،وباطنها الحقيقة(فالشريعة أدب الظواهر،والحقيقة معرفة البواطن، الشريعة تغطية للحقيقة،كالحكمة للقدرة،بل هي من جملة الحكمة،وأما الفنا فهو الغيبة عن حس الكائنات،بشهود المعاني،والبقاء شهودهما معا،فيعطي كل ذي حق،ويوفي كل ذي قسط قسطه.والشكر هو عين الفنا،والحمد عين البقاء، فالتمييز هو المفسر لما أنبهم من الذوات مع المعاني،فيميز بينهما،ويقوم بحق كل واحد منهما)[3]

المنـــادي

هو المفرد العلم هو الذي يناديه المضطر،هو الله تعالى(المنادي في المآرب والمشارب والأزمات.فالمفرد العلم هو الحق سبحانه، وهذا هو المقصود بالذات زيد والأربعة وسائل، وقد يطلق المفرد العلم علي الرسول عليه الصلاة والسلام، لانفراده بالكمالات، وظهوره بالمعجزات كظهور نار القري ليال علي علم، وإليه أشار صاحب البردة بقوله:خفضت كل مقام بالإضافة، إذ نوديت بالرفع مثل

١) المصدر نفسه:ص١١٠
٢) المصدر نفسه:ص١١٢
٣) المصدر نفسه:ص ١١٢

المفرد العلم، ولا شك أنه باب الله الأعظم، وشفيعه الأكرم، به يفرج الكرب وتقضي المآرب)[1]

النكرة المقصودة: هم أولياء الله الصالحين يلجا اليهم العباد لقضاء حوائجهم (هي سر الولاية فمن ظفر بها كان بابا من أبواب الله، يفزع إليه في الشدائد وتقضي بشفاعته الحوائج، لأنه نائب عن الرسول الذي هو الحجاب الأعظم، وإنما فسرنا النكرة المقصودة هنا بسر الخصوصية، لأنها تنكر أولا، وتقصد ثانيا بعد التمكن منها، فيظهر الله صاحبها بعد الخفاء، لينتفع به العباد وتحيا به البلاد

والنكرة غير المقصودة: هم الخاصة من الأولياء الذين خفي أمرهم على العباد (هي الخصوصية التي بقيت علي حال الخفاء حتى مات صاحبها فهو كنز من كنوز الحق، وعروس الحضرة لا يعرفه إلا أمثاله ومن قرب منه.والمضاف إلي أولياء الله بالتربية والخدمة هو ملحق بهم في المآل.والمشبه بالمضاف:هو من تزيا بزيهم وانتسب إليهم ولم يكن له ناهضة للظفر بسرهم، فلا شك أنه تلحقه بركاتهم وتنصب عليه أنوارهم)[2]

المفعول معه: تفعل الأشياء كلها معه وبحضوره، هو الله، القائم علي كل نفس بما كسبت، الرقيب علي كل شيء، والحاضر مع كل شيء، قال تعالي:(وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ)[الحديد :آية٤]وقال صلى الله عليه وسلم:اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل والمال والولد(روى عن بن عمر رضي الله عنهما، فالمعية عند أهل الفرق بالعلم والإحاطة، وعند أهل الجمع بالذات والصفات لأن الصفات لا تفارق الموصوف، فالعلم لا يفارق العالم، وقال تعالي:(**مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا**)[المجادلة: آية٧]المعية بالعلم عموم، وبالقرب خصوص، والقرب بالعلم عموم، وبظهور التجلي خصوص[3]

المفعول به: هو الذي تحقق فناؤه،وكمل بقاؤه بالله،قد غاب عن وجوده، ووجود فعله (هو مفعول به في كل ما يفعل ويذر، ليس له عن نفسه إخبار،ولا مع غير اللهَ قرار،فعله بالله وتركه بالله،فمثل هذا لم يبق عليه ميزان،ولا يتوجه عليه

---

١) المصدر نفسه:ص١١٧

٢) المصدر نفسه:ص١١٨

٣) المصدر نفسه : ص١٢٢

عتاب،إذ هو نائب عن الله في فعله،وهو عين من عيون الله،لأن وصفهم البشري مغطي عنهم ومغمور بنور القدم،وإلي ذلك يشير ما ورد من قولهم:الشأن أن تكون عين الاسم أي عين مسمي،وقولهم:أصابتك عين من عيون الله)[١]

المفعول به اسم معد لجريان المقادير عليه (لم يبق له تدبير ولا اختيار، وهو الذي يقع به الفعل مع الله، هو آلة لفعله وسيف من سيوفه، ينتقم به من أعدائه إذا شاء،وهو علي قسمين:ظاهر معروف، أظهره الله لنفع عباده،وإقامة الحجة عليهم بالإنذار،ومضمر خفي وهو:كنز من كنوز الله،من به علي خلقه،وهو مستور تحت أستار البشرية حتى يلقي الله)[٢]

المخفوضات عن مراتب الرجال ثلاثة[٣]

-مخفوض بسبب الحرف، هو من يعبد الله علي حرف أي طمع في عوضَ دنيوي أو أخروي فهو كالعبد السوء إن أعطي عمل وإن لم يعط لم يعمل، فإن أصابهخير وهو العوض الذي طمع فيه اطمأن به وسكن إليه، وإن أصابته فتنة وهو فقدان ذلك العوض انقلب علي وجهه ورجع عن عبودية سيده خسر الدنيا والآخرة، أما الدنيا فلفقدان حظه منها، وأما الآخرة فلعدم التزود لها ذلك هو الخسران المبين

-والمخفوض بالإضافة إلي الأرزال وصحبتهم، وكان عيسي عليه الصلاة والسلام يقول:لا تجالسوا الموتى فتموت قلوبكم، قيل:ومن الموتى يا روح الله، قال:الراغبون في الدنيا والمحبون لها.أو كما قال عليه الصلاة والسلام:المرء علي دين خليله.وقال أيضا:من أحبَ قوما حشر معهم، والمرء مع من أحب)ولا تعرف مراتب الرجال إلا بأصحابها أعني مشايخها[٤]

-مخفوض بالتبعية لنفسه وهواه، فمن تبع هواه أهوي به إلي الهوان.فالعز كله في مخالفة الهوى والذل كله في إتباعه، ويكفيك قول الله تعالي:(**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ**)[الجاثية :آية٢]

---

١) المصدر نفسه : ص٩٨

٢) المصدر نفسه: ص٩٩

٣) المصدر نفسه: ص ١٢٤

٤) المصدر نفسه: ص ١٢٥

الفصل الثالث:الفعل

فعل الصوفي في الحياة، هو السير في طريق الله تحت إرادة الله ومشيئته، فالذي يعينه على طريقه هو فعل الله.فالله خلق العباد، يحب المحسنين منهم والمتقين، ولا يرضى لعباده الكفر ، وقواهمبأمل التوبة والاستغفار، ومنحهم القدرة والاختيار، فلا إكراه ولا اضطرار، مكنهم من الامتثال للأوامر، وتجنب النواهي، وفوق كل هذه النعم كشف للعارفين منهم، لَآلِئ العلم والفضل والأسرار.بالفعل تتجدد النية ويتحقق القصد، ويعبد الله بالشريعة، بالصلاة والصوم والحج.ويقصد بالطريقة، الذكر والأوراد.ويشهد بالحقيقة، يتجلى الله على من اصطفاهم من عباده

المبحث الأول

المقصود بالفعل:مجاهدة النفس في خرق عوائدها، كيف تخرق لك العوائد، وأنت لم تخرق من نفسك العوائد، فيخرق كثرة الكلام بالصمت، وكثرة النوم بالسهر، وكثرة الأكل بالجوع، وأهم العوائد الشاقة علي النفس، حب الرياسة والجاه والمال فيخرقها بالذل والفقر والنزول بها إلي أرض الخمول[1]

مقاصد التصوف خمسة[2]يخصها ابن عجيبة كلها في الفعل،من صفاء،وقصد، وتجمل،هي:

-قصد وجه الله

-صفاء النفس ومحاسبتها

-التمسك بالفقر والافتقار

- توطين القلب على الرحمة والمحبة

-التجمل بالأخلاق، التي بعث الله النبي لإتمامها

نحو القلب ينقسم على قسمين:المناداة، صفة العابدين على الباب.والمناجاة، هي نعت الواجدين على بساط القرب، فموقف العابد أبواب الخدمة، ومربع الواجد بساط القربة.الفعل في نحو القلوب:كل فعل كان مع الله، من:

---

١) المصدر نفسه:ص ٣٨

٢) المصدر نفسه: ص ٤٨

-مجاهدة النفس:حمل النَفسِ وإرغامها، على فِعْلِ الطَّاعَات، وتَرْكِ المَعْاصِيَ، للفوز بِثَوابِ اللهِ تعالى

- خرق عوائد النفس للتحقق من عبوديتها لله تعالى، فيتجاوز كل ما تعودت عليه نفسه،وألفته واستمرت عليه،حتى اعتقد أنه صعب خروجها عنه،وهي قسمين:

عوائد ظاهرة حسية،مثل:كثرة الأكل والشرب والنوم واللباس،وخلطة الناس والدخول في الأسباب،وكثرة الكلام والمخاصمة والعتاب،والاستغراق في العبادة الحسية أو العلوم الرسمية،وغير ذلك

وعوائد باطنة معنوية،مثل:حب الجاه والرياسة،وطلب الخصوصية،وحب الدنيا والمدح والكبر والعجب والرياء،والطمع في الخلق،وخوف الفقر،وهم الرزق والفظاظة والقسوة.فمن خرق عوائد نفسه باضطرارها إلى فعل الخيرات وإلزامها بتجنب المعاصي،تخرق له العوائد الحسية كالطيران في الهواء، والمشي على الماء، ونفوذ الدعوة، وغير ذلك من الكرامات الحسية.ومن خرق عوائد نفسه المعنوية،خرقت له العوائد الباطنة،كرفع حجب الغفلة، وتطهير القلوب،وكشف الحجاب،وفتح الباب،وتحقيق العرفان،والترقي إلى مقام الإحسان

-تهذيب عوائد النفس بالذل والافتقار، بالاستغناء بالله عمن سواه هو عين الفقر إليه،وهو عين الغنى به،وأكمل الناس عبودية لله تعالى،أكثرهم ذلا،وانقياداً، وطاعة

- التواضع وتجنب كل أسباب الشهرة.محبة الشهرة ورغبة الجاه،هي أضر شيء على المريد،وإن سلكت الطريق بعد الشهرة فتواضع،لأن إذاعة الصيت،ومحبّة الجاه ينافي العبودية التي يطالب بها المريد،والخمول غطاء يعين على الإخلاصفي العبادة(ادفن وجودك في أرض الخمول، فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه، والمقصود بالخمول كل ما يسقط جاهها ويحط قدرها عند الناس، فقد قالوا كلما سقط المريد من عين الخلق، عظم في عين الحق وبالعكس)[1]

-عدم البحث عن منزلة أو جاه بالستر، فإذا أخفي المريد نفسه، فقد أماتها و أحيى روحه، وجنى ثمرة ذلك، وفاز بعلوم العارفين.وإذا ترك نفسه تجول، وتبحث على الشهرة والجاه في أعين الآخرين، ماتت وجفت ثمرتها(فإذا صار الذل

١) المصدر نفسه:ص ٣٨

والضعة والخمول عنده أحلي من العز فقد ملك نفسه، ومن ملك نفسه ملك الوجود بأسره و وصل إلي حضرة ربه.قال بعضهم:سير السائرين إلي الظفر بنفوسهم، فإن ظفروا بها وصلوا)[1]إذا عرفت النفس قدرها، وتواضعت واستترت، وتجنبت الجاه، تصل إلى معرفة عظمة الله وجلاله

الفعل الذي يتوصل به إلي الله تعالي، ويحصل به الوصول إلي حضرة القدس.يعرف بقد التي تفيد الجزم والتصميم، هو العزم علي البر والتقوى، والجزم والتصميم بدوام السير، حتى يصل أو يموت، فبهذا يحصل للمريد الوصول،فقد قالوا في شروط الفقير،هي حسن الخدمة، وحفظ الحرمة، وتعظيم النعمة،ونفوذ العزيمة،هو تصميم العزم علي السير إليَ الوصول،فإذا كّل أو ضعف أو تعب، جدد العزم حتى يصل،فإذا خاف علي نفسه الملل والرجوع ، نَفس لها شيئا ما بترك المجاهدة،وسوف لها بالراحة والبشارة.إذاعرف بترك السين وسوف يكون إشارة إلي المبادرة،وانتهاز الفرصة قبل فوات الوقت

المبحث الثاني

أفعال العباد بين ثلاثة أحوال مختلفة،في الزمان والفكر.قوم انشغلوا بالماضي، وكل فكرهم في السابق،وقوم انشغلوا بالمستقبل،وكل فكرهم في الخاتمة،ومنهم من اشتغل بإصلاح وقته الذي هو فيه، وكل فكرهم في الحال.(فالماضي أي الزمن الماضي، الذي اشتغل فيه صاحبه، بأنواع الطاعات والمجاهدات والسياحات، في طلب الحق مفتوح آخره بالفتح الكثير الكبير أبدا، لأن البدايات مجلات النهايات، فمن أشرقت بدايته، أشرقت نهايته)[2]لا يصل المريد إلي حضرة القدس، ومحل الأنس إلا بالعزم واليقين، والسير في الطريق بلا فتور، ولا قصور ولا ملل، بل تزيد فيه العزيمة، لتستقر الحضرة، وتسكن قلبه

المضارع هو المشبه بالقوم، وليس في العبد ناهضة حب، وإنما قصده التزيي بأحوال القوم والتطفل عليهم، بأن كان فيه أحدى العلل الأربع الزائدة علي الروح، والعارضة هي:حب الدنيا، والعز، وخوف الخلق، وهم الرزق، ويجمعها الرضي عن النفس الذي هو أصل كل معصية وخطيئة وغفلة وشهوة، وينشأ عن

(١) المصدر نفسه:ص ٣٨

٢) شرح الفتوحات القدسية:ابن عجيبة، ص ٦٨

الرضي عن النفس الدعوي فيدعي الوصول ويقول:أنيت أي قربت من الحضرة ووصلت إليها، والحال أن بينه وبينها ما بين السماء والأرض، وسبب ذلك الغلط والجهل المركب، وسبب الغلط عدم صحبة الرجال، إذ لا تعرف المقامات إلا بصحبة أهل المقامات العلية، وهو مرفوع أبدا،حتى يدخل عليه ناصب أو جازم[١]

المتشبه بالقوم المتزيي بزيهم مرفوع أبدا،لأن من أحب قوما حشر معهم،ومن تزيا بزي قوم فهو منهم، فلا يزال عزيزا مرفوعا،ما دام منخرطا في سلكهم، حتى يدخل عليه ناصب فينصبه لطلب الدنيا،أو جازم يرده، فيقهقره علي الرجوع من طلب المولي،فيترك صحبة الشيخ،والفقراء والوصول إليهم، فيكون ذلك سبب رجوعه إلي مقام العمومية[٢]الأفعال التي سبق بها القدر ثلاثة:أفعال سابقة، وأفعال لاحقة تابعة للسابقة،وأفعال حاصلة،والناس فيها علي أربعة أقسام[٣]:

-قسم غلب عليهم خوف السابقة

-قسم غلب عليهم خوف العاقبة

-وقسم غلب عليهم الاشتغال بعمارة الأوقات، وما كلفهم به مقرر الأوقات ومقدرها، غائبين عن السوابق واللواحق، وهم العباد والزهاد

-وقسم غلب عليهم الاستغراق في شهود الفاعل المختار، فانون عن أنفسهم، غائبون عن وجودهم في وجود معبودهم،لا يخطر علي بالهم سوابق ولا لواحق، مستسلمون لموالهم في حكمه وقضائه، هؤلاء هم العارفون بالله،وإن شئت قلت الأفعال التي تصدر من العبد ثلاثة:فعل مضي،وفعل هو مشتغل به في الحال، وفعل يأتي لا يدري ما يفعل الله فيه، وفي الحديث، عن جابر بن عبد الله:(المؤمن بين مخافتين:بين أجل قد مضي لا يدري ما الله صانع به،وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه، فليتزود العبد من نفسه لنفسه،ومن دنياه لآخرته ومن

١) المصدر نفسه :ص٦٩

٢) المصدر نفسه :ص٦٨

٣) االمصدر نفسه :ص٦٧

حياته لموته،فو الذي نفس محمد بيده،ما بعد الموت من مستعتب،وما بعد الدنيا من دار، إلا الجنة أو النار)[1]

آداب الماضي نسيانه، والغيبة عنه، فإن تذكر ما مضي من إساءته، جدد الندم والاستغفار وأن تذكر ما سلف من إحسانه حمد وشكر، وآداب الآتي الغيبة عنه ونظر ما يبرز من عنصر القدرة، تاركاً للتدبير والاختيار، مستسلما لما يبرز من عند الواحد القهار، لأن من لم يدبر، دبر له، وما دبره الحق لك أحسن من تدبيرك لنفسك، فعسي أن تدبر شيئا وتختاره، وهو وبال عليك، فالله أرحم بك من نفسك، وأعلم بمصالحك منك

وآداب الحاضر:اغتنام الوقت قبل الممات،وانتهاز الفرصة قبل الفوات، والمسابقة إلي فعل الخيرات

النواصب التي تشغل العبد، وتمنعه من الوصول إلي ربه عشرة:حب الدنيا والجاه وهم الرزق وخوف الفقر ومراقبة الخلق وسوء الظن بأهل النسبة وإنكار وجود أهل الخصوصية وإنكار وجود أهل التربية، والشفقة علي النفس، حتى لا يقدر علي مخالفتها و ردها عن هواها

والجوازم التي تقطع وتحرم العبد من الخصوصية ثمانية عشر:الكبر والحسد وحب العلو والعجب والرياء، وعدم الخضوع للأولياء، والانتقاد عليهم، والطعن علي الفقراء، والطمع في الخلق، والخوف منهم ، والميل إلي أهل الظلم ، والركون إليهم ، والوقوف مع المقامات والكرامات، وحلاوة الطاعات، والاستغراق في علم الرسوم، والتجمع مع ظاهر الشريعة، والتعرض للعلويات، والظهور قبل التمكين[2]

---

١) تخريج أحاديث الإحياء:العراقي أخرجه البيهقي في الشعب من حديث الحسن عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وفيه انقطاع ،(حديث ضعيف) (٣١٨٧)

٢) شرح الفتوحات القدسية:ابن عجيبة:ص٧٠

الفصل الرابع: الحرف

الحرف يربط الفعل بالقول للوصول إلى الحقيقة، و في الحروف أسرار فوق العقل، يتوصل إليها الولي بالمشاهدة والتوفيق الإلهي، تمكنه من فعل الكرامات التي خصه الله بها. إذا كان معنى الحرف هو التوجه أو الناحية، فكل حرف من الحروف يوجه العبد إلى أمر ما، بما يتميز به كل حرف من خصائص في الحروف المخصوصة، بالعطف أو القسم أو الاستثناء.يراد بالحرف الناحية، والجانب، وفي اصطلاحً النحاة، هو كلمة تدل على معنى في غيرها.إذا دخل على اسم أوجب له حكما النصب أو الخفض، أو غيره.أو يختص بالفعل فيقتضى له نسبة.ومن الحروف ما يوجب للفعل حكم النصب والجزم، يتجه به إلى نصب القدر، أو رفع القدر

المبحث الأول

الحرف: هو ناحية أو جانب يتجه إليه المريد، إما جانب الله تعالى، والفوز برضاه، أو جانب الدنيا وزينتها.توجه قلب المريد وقصده بجميع قواه الروحانية، إلى جانب الحق، للوصول إلى الكمال والحصول على رضا الله، فلا يصل إلى ذلك إلا عالي الهمة، متقن العمل، السابق إلى فعل الخير، لا يرضى في أي أمر إلا الإتقان، لا يعبأ بالتعب، أو المشقة.يعمل على الوصول إلى المرتبة العليا في العبادة بأداء الفرائض، ويصل إلى محبة الله بأداء النوافل، أسوة بالنبي صلى الله عليه وصحابته الكرام، الذين قدموا لوجه الله تعالى الأموال، وتنازلوا عن الوجاهة والمكانة، ففازوا بمحبة الله تعالى.المقصود بالحرف:(الهمة والقريحة وطلب الوصول إلي الله تعالي، لهذا الحرف لابد منه في البداية، فإذا وصل إلي الله حذفه، قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي:"رضي الله تعالي عنه"إذا كان ولابد من الحرف، فحرف بينك وبين الله خير، من حرف يكون بينك وبين الخلق، والمقصود بالحرف، الطمع في الوصول إلي مرتبة من المراتب)[1]

توجه المريد بقلبه وقصده وعقله، للحصول إلى الكمال له، و الوصول إلى الله تعالى، فمهما بذل في سبيل ذلك من جهدٍ وعناءٍ، فعالي الهمة يتطلع دائما إلى

١) المصدر نفسه:ص٣٩

المرتبة العليا، ولا يرضى بما دون القمة، حتى لو ضحى بمكانته وجاهه، ليفوز برضوان الله تعالى ورضاه، في طريق الطرف النوراني.**الحرف نوعان**

الحرف النوراني:هو الطمع في الوصول إلي الله، أو إلي رضوانه، أو إلي كرامة من كرامات أوليائه، أو إلي نعيمه الدائم.ومنهم من لو أقسم علي الله لأبرهم في قسمهم،هو مقام المحبوبين، جعلنا الله من خواصهم بمنه وكرمه آمين

والحرف الظلماني:هو الطمع في الوصول إلي حظ من حظوظ النفس العاجلة، كالرياسة والتعظيم ، والجاه وحب الدنيا، وغير ذلك من المقاصد الدنيوية التي يقصدها أهل الهمم الدنية.والحرف الذي لا يصح معه،دليل الاسم ولا دليل الفعل، المنتظر لما يعود إليه من نفع من جاه أو مال،هو(ذو الحرف الظلماني،هو الذي يعبد الله علي حرف،أي طرف من الدين وطمع،فإن أصابه خير اطمأن،وإن أصابته فتنة انقلب علي وجهه،لا يصلح للسير بالذكر ولا بالعمل،هو الذي دخل في طريق القوم،طمعا في رياسة أو عز أو جاه أو مال،فلا يأتي منه شيء، خسر الدنيا والآخرة،وذلك هو الخسران المبين والعياذ بالله)[1]

في العطف صحبة الصالحين صلاح،وصحبة الجاهلين جهل.حروف العطف تتبع الآخر الأول،وأهل الإشارة توسلوا إلى الله تعالى في العطف عليهم، واللطف بهم، ليلحقهم بأهل قربه،ويجعلهم من حزبه.علامة العطف من الله تعالي علي عبده عشرة:هدايته،وتوفيقه،وحفظه،وتوليته، وتقريبه من حضرته،وكشف حجابه، وانتقامه من أعدائه،وقيامه بشؤونه بلا تعب،وقذف محبته في قلوب عباده، و انتهاض القلوب بهمته وحاله وكلامه[2]

وعلامة العطف من العبد علي مولاه:امتثال أمره واجتناب نهيه، والإكثار من ذكره، والاستسلام لقهره،ومحبة كلامه، ومحبة رسوله صلي الله تعالي عليه وسلم، ومحبة أهل بيته، ومحبة أوليائه وصحبتهم وخدمتهم، والثقة بربه،والتوكل عليه في جميع أموره،وعدم التدبير والاختيار مع ربوبيته،والرضا والتسليم

١) المصدر نفسه:ص٤٥

٢) المصدر نفسه:ص٩٠

بجميع أحكامه الجلالية والجمالية، وتحقيق معرفته ودوام شهوده،والحضور معه في جل أوقاته،فهذه علامة محبة الجانبين [1]

وأسباب العطف عشرة:

تجمع قلب العبد بالله و مع أهل الله.وترتب وظائف العبوديةً في الظاهر علي ترتيب الشريعة،(فلولا الورد ما كان واردا،ولا ينكر الورد إلا جهول.ثم تمهل ولا تستعجل،فالتأني من الله،والعجلة من الشيطان،ومن تأني أصاب أو كاد،ومن استعجل أخطأ أو كاد.أو تخيير،فإذا خيره سيده اختار العبودية علي الحرية،فبقدر ما يتحقق بالعبودية في الظاهر،تتحقق له الحرية في الباطن،والعبودية هي السفليات دون العلويات والإباحة،فيبيح ماله وعرضه،لجميع الخلق كأبي خمار[2]أو ما ذكر في بعض الكتب كأبي ضمضم)[3]،أبو ضمضم ذكر في حديث للنبي صلى الله عليه وسلم يُضرب به المثل في مسامحة الناس في آذيتهم وظلمهم له **إذاتحققت العبودية**،بأعمال القلوب والجوارح،على المنهج والمفهوم الإسلامي.يكون الإنسان في موضعه الصحيح الذي يحقق به الغاية من خلقه،والوصول إلى مرضات الله،وعدم الخضوع والذل والطاعة إلا لله،وفي ذلك التطبيق العملي لقيام الإنسان بدوره في الحياة،وتتحقق له الحرية في الالتزام بعبودية الله

ويقسم الله علي العبد ما جعله من الأرزاق الحسية والمعنوية، كالعلوم والأسرار علي من يستحقها (**قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ**)[البقرة :آية ٦٠]فيخاطب كل واحد علي قدر فهمه وعقله، أو الإبهام فيبهم فيهم أمره، ويكتم سره اكتفاء بعلم الله تعالي، استشرافك أن يعلم الخلق بخصوصيتك، دليل علي عدم صدقك في عبوديتك.والتشكيك في الولاية، بعد التعرض لأسباب الظهور.أوتعيين الحق

---

١) المصدر نفسه:ص٩٠

٢) أبو الشتاء رجل صالح من المغرب ،مستجاب الدعوة،كان سببا في حصول المطر بعد أن كاد يهلكهم الله بالجفاف،لذلك سمى بابي الخمار(ينظر،تاريخ مدينة فاس:ص١٤٥)

٣)) عن قتادة بن دعامة، قال النبي صلى الله عليه وسلم:(أيعجز أحدُكم أن يكون مثلَ أبي ضيغمَ – أو ضمضمَ – كان إذا أصبح قال:اللهم إني قد تصدَّقتُ بعِرضي على عبادِك) صحيح أبو داود(٤٨٨٦) ، الألباني:"حديث ضعيف "

فيتجنب الباطل، (أو تعيين طريق السلوك، فيسلكها علي يد أهلها، أو التسوية، فيستوي عنده الذهب والتراب في عدم الرغبة، والذل والعز والفقر والغني، والمدح والذم والمنع والعطاء، وهكذا تستوي عنده الأحوال، فيتحقق بمقام الاستواء، الذي يتأهل به للولاية الكبرى، ما جري ويجري فيه)[١]

يعرض العبد عن الدنيا وأهلها(إلي مولاه، فبقدر ما يغيب عن حس الظاهر تشرق عليه أنوار الباطن، قال الشيخ أبو الحسن رضي الله تعالي عنه:غب عن حس ظاهرك إن أردت فتح باطنك.تشير إلي إضراب المريد عنً الكون، غيبة في المكون فناء وشهودا، ولا تنفي السوي ، وتثبت المولي، فتقول الحقموجود لا غيره)[٢]

يستدرك العبد ما فات من العمر ليستعين به على السير(بالجد فيما بقي، والاجتهاد والتشمير، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب:نعم بقية عمر المؤمن، يدرك بها العبد ما فات، ويحي ما أمات، حتي تشير إلي انتهاء السير بالوصول، إلي غاية المعرفة والتمكين عن دوام الشهود، فإن عطفت بها علي مرفوع في درجات القرب رفعت، أي زدت في رفعة، أو علي منصوب للتوجه والسير نصبت به، حتى وصلت، أو علي مخفوض للهوي، والنفس بالمجاهدة والمكابدة خفضتهما له، أي أعنته عليهما، أو علي مجزوم للسير، طالب للوصول جزمته، وشددت عقده، حتي يشاهد أسرار ذاته، وأنوار صفاته[٣]غلب الهوى، وجاهد النفس، وأصر على الطريق، فشاهد الأسرار والأنوار، واستثني من الفزع الأكبر، هول يوم القيامة

المبحث الثاني

المستثني من الفزع الأكبر:هو من حصل الإيمان والطاعة،أو مقام الإحسان والمعرفة، وأسباب النجاة منه ثمانية:التقوى ظاهرا وباطنا،و إتباع السنة قولا وفعلا، والصبر علي الطاعة،وعن المعصية،وفي النعمة والبلية، والرضا عن الله

١) شرح الفتوحات القدسية:ص٩١

٢) المصدر نفسه:ص٩١

٣) المصدر نفسه: ص٩٢

في الجلال والجمال[١].من أسباب النجاة من الفزع الأكبر أيضا، توكل المريد علي الله(في المنع والعطاء، والورع عن المحرم والمكروه، والزهد في الفضول من كل شيء، ومراقبة الله في السر والعلانية.فمن حصل هذه الأمور كان من الذين قال الله فيهم:(**لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ**)[الأنبياء:آية ١٠٣]، ويكون ممن استثني الله بقوله:(إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ)[الزمر:آية ٦٨]، ومن غلبه القدر فالتوبة معروضة)[٢]المعترض على قدر الله تعالى وسخط ، يطلب منه التوبة إلى الله والاستغفار

نفي الجنس والبعد عن الحس،شرط في دخول حضرة القدس ومحل الأنس(فرغ قلبك من الأغيار تملأه من المعارف والأسرار،كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة في مرآته، أم كيف يرحل إلي الله، وهو مكبل بشهواته، أم كيف يدخل حضرة الله، وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته) [٣]كل ما سوي الله من الأغيار، لأنه يتغير، كلها حوادث فقيرة، فلا يتعلق قلبك إلا بالدائم الباقي، واكفر بكل ما سواه، يمتلأ قلبك بالأنوار، ويخلو من الأمراض، وطهر نفسك من المعاصي، فلا يأتي القلب إلا بما يرضي الله، جاهد نفسكوأسرع إلى الحسنات، وعلق قلبك بالله، وتطهر من الشهوات، فالله تعالى يتجلى على القلب الطاهر، فلا تنزل الأنوار والأسرار الإلهية، إلا على القلوب الطاهرة

ولكي تصبح عبدا ربانيا، يجب أن تتمسك بكتاب الله وسنة رسوله، فعليك بالعلم، حتى لا يتسلل الشيطان إلى قلبك، ومن يطع الله، فقد فاز فوزا عظيما، تفوز بالعلم الرباني، يهب سبحانه وتعالى علمه اللدني لمن يشاء، ويخص به العارفين بهذا العلم لدعائهم:اللهم علمنا ما جهلنا، فيصبح لهم قلوب يعقلون بها(ولهذا شرعت كلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله، فهي تنفي الشرك الجلي والخفي، وتطهر القلب من الشواغل والعلائق، فالعامة تنفي الشرك الجلي، والخاصة تنفي الشرك

١) المصدر نفسه:ص ١١٣
٢) المصدر نفسه:ص١١٤
٣) المصدر نفسه: ص١١٥

الخفي، فالنفي مسلط علي كل ما عبد من دون الله، من صنم أو كوكب أو نار أو غير ذلك، من معتقدات العرب وأهل الضلالة)[1]

لا إله إلا الله خير ما قاله النبيون،و آخر ما قاله النبي في الدنيا،من قالها دخل الجنة هي كلمة التوحيد،يقوم عليها الإيمان،ومفتاح الجنة للعباد.جمعت بين نفي إلوهية ما سوى الله واثبات إلوهيته ينفي بها المكلف جميع ما سوى الله من الأضداد والأنداد وينفيه وتكون دليله على الإخلاص فالذاكر لله تعالى ينشغل بحبه حباً، يغفل عن جميع ما سواه حتى نفسه، فشدة الحب تمنع غير مشاهدة المحبوب(لا مستحق للعبادة إلا الله، فهي تنفي استحقاق العبادة عن غير الله، وتثبتها لله جل وعلا، وأما نفيها للشرك الخفي، فإن من أحب شيئا، فهوعبد له، ومن ركن إلي شيء فقد تألهه، كذلك من خاف من شيء فهو عبده، فإذا قال المؤمن لا إله إلا الله، فقد أخرج من قلبه كل شيء، مال إليه قلبه، أو خاف منه، أو طمع فيه، فمعني لا إله إلا الله:لا معبود لي، ولا حبيب لي، إلا الله، ولا ركون لي إلي شيء، ولا خوف لي من شيء إلا الله)[2]

لا معبود بحق إلا الله.فلا يجلب النفع ويدفع الضرالا الله.وكل ما يعبد سواه طواغيت يتجاوز به العبد حده.يخرج به عن طاعة الله.لَمْ يُنْفَ فِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِلَّا الْمَعْبُودُ بِحَقٍّ غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى.فواجب الْوجودَ كُلِّيٌّ لَمْ يُوجَدْ مِنْهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، واحد أحد مُنْفَرِدً فِي ذَاتِهِ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، لا يحدث في ملكه إلا ما يريد(فكل واحد ينفي ما في قلبه من الأغيار، فأولها تخلية وآخرها تحلية، ولذلك كان بعضهم إذا قال لا إله إلا الله، أشار برأسه إلي قلبه، أو إلي ناحية قلبه، ليتمكن الله من قلبه، هكذا يستمر حتي لا يجد ما ينفي، إن الله تعالي يوجد نفسه بنفسه، ويخبرنا بأنه لا إله سواه، فحينئذ يقول:الله الله ثم هو هو، ثم يغرق في بحر الأحدية، فيصمت اللسان، ويثبت الشهود والعيان، وما ذلك علي الله بعزيز)[3]

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أحب الكلمات إلى الله عز وجل،هي أفضل كلمة تعلن عن التوحيد، واشرف ما يعبر عن التوحيد،وأتم دلالة على وجوده تعالى،وأعظم ما ينزه الله

---

١) المصدر نفسه:ص١١٥

٢) المصدر نفسه:ص١١٦

٣) المصدر نفسه: ص١١٦

عن جميع النقائص،تستجمع كل صفات الكمال،تثبت التوحيد والتنزيه والكمال.الواصل إلى مقام الفناء،لا يرى في الوجود إلا الله،هو الموجود،ما سواه فاني، تختفي ذات الصوفي،ويبقى التجلي الإلهي.فناء ذات الصوفي والبقاء في الله.فيعبر عن "لا اله إلا الله" بقوله:**حسب الواحد إفراد الواحد**

الحقيقة لا تخالف الشريعة، الأصل أن توافق أقوال العبد وأحواله شريعة الله، شريعة بلا حقيقة عاطلة،وحقيقة بلا شريعة باطلة، من جمع الفقة والتصوف فقد تحقق، وآتته الحكمة (**وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا**) {البقرة:آية٢٦٩} لأنها أعلى درجات العلم، استمد فيه نور العقل من نور الله.وقد يغيب العبد عن نفسه أو يذهل عنها.حيث يفنى العبد عن صفاته وخصائصه، فلا يلتفت لها، وينكشف له أن هذه الصفات لا وجود لها، طمست كل معالمها، يحدث ذلك للعبد، عندما يترقى في طريق الحقيقة والعرفان.

يعذر العبد فيما يجري على لسانه أو جوارحه، في أمور في ظاهرها قد تخالف الشريعة، لا يقوله إلا من تجلت له أنوار الحقيقة، وعجزت الكلمات عن وصفها، فلجأ إلى الإشارة والرمز، التي يصعب فهمها، على غير أصحابه من أهل الرمز والإشارة، ومن حاول فهمها باللفظ دون علم الأولياء، اتهم أهل الطريق بالكفر، قال تعالى:(**إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَت قُلُوبُهُم**)[الأنفال:آية٢]هذا شان الذاكرين، قلوبهم وجلت من ذكر الله لفظا، والجبل لما تجلى له ربه جعله دكا، فكيف الحال إذا تجلت وانكشفت أنوار الحق وجماله للرائي، فعبر بالإشارة ما لم يفهمه أهل العبارة من المعنى المقصود، الذي يريده من أفاض الله عليه من علمه، وقد قال أهل الطريق:من لم يقف على إشارتنا، لم ترشده عبارتنا

وما اتهم به أولياء الله من الحلول بحلول الله في خلقه، وهما وجودان مستقلان لا يصدقه العقل ولا يقره الواقع، فكيف يحل القديم اللامتناهي في الحادث المتناهي، ويبقي القديم قديما، والحادث حادثا.العارفون لا يؤمنون إلا بوجود واحد، فلا يحجبك عنه إلا توهمك وجودك معه، فيستحيل وجود سواه، وليس مع الله أحد

الخاتمة :

-المصطلح الصوفي وما يزخر به من معاني، هو نتاج تجربة روحية صادقة، استمدها الصوفي من مرجع أساس، هو القران الكريم والسنة الشريفة، سمته التطبيق الفعلي لما به من أخلاق،و يشير إلى كل ما هو سلوك سامي.كلمات الله تعالى نفيسة بالمعاني والمقاصد، يطبقها الصوفي سلوكا عمليا، يحقق التقوى التي يمارسها، بمفاهيم تعلو من درجته وتزيده معرفة، في طريق محاولة وصوله، لأسرار في معاني كلام الله.

-في كلام الأولياء غموض، يصعب على إدراكه أكثر الناس، الذين لم يسلكوا طريق الله، تجعل الإشارة اختبارا لاستيعاب المتلقي، وامتحانا لصبره وصدقه، وتحفيزا لاكتشاف المعرفة الخاصة ببذل المجهود، تجعل العارف يبوح ببعض الأشواق والأذواق، التي لا تتعارض مع الإسلام، لكن ما ظهر له أكبر من التعبير والإحساس، فغاب عن كل شيء، سوى نور الله، وما اطلع عليه من أسرار.وقد أجابوا عن ذلك عندما سألوا عن، كيف الطريق إلى الله ؟ بأن الطريق بين اثنين، وليس مع الله أحد

-يعتبر ابن عجيبة خير من فسر الإشارة في التصوف، تعبير عن ما يفيض به الله تعالى من معاني على قلوب العارف، تتوقف على ما شعر به من حلاوة القرب إلى الله، وما قدمه من طاعات، والاستغناء عن كل ما سوى الله.تشتمل هذه الإشارة على لطائف وأسرار وعلوم معرفية، قد لا تستطيع العبارة التعبير عنها لما بها من معاني فوق التعبير بالكلام.مصدر إشارات الصوفية، نصوص الشريعة المتعلّقة بالعقيدة أو بالعبادات، بها معاني ظاهرة تدل عليها الألفاظ، تتبين من سياق الآية، ومعاني باطنة خفية وراء معنى اللفظ ، تظهر دلالته وأسراره للعارفين، بين فيها ابن عجيبة ما بها من آداب السلوك، والأخلاق، والاجتهاد في المقامات، ونهاية الطريق إلى الله، وربط ذلك بمقام الإحسان

-أهل الصفاء الروحي في تجربتهم الروحية، تغيب عقولهم عن كل شيء إلا الله.لأن العظيم إذا تجلى للقلوب غابت عن الحس وتلاشى نور العقل بنور الجمال الإلهي، والوصول إلى مقام الفناء، فناء لم يشاهدوا خلاله غير جمال

الحبيب، لا يشعرون بشيءٍ من الموجودات؛وتكشف لهم الأسرار، وتتجلى لهم الحقائق، وتتفاوت أحوالهم بين رهبة أو أنس أو مناجاة

ـ الصوفية هم المقتدون للأخلاق النبوية، بالإخلاص في الطاعة، يعطون أنوارا تزيل أغيارهم، فهم يرون أن من اثبت غيرا لا توحيد له، وبطاعة أرواحهم، يعطون الأسرار، بتجليات وألطاف تتنزل عليهم، من قوة جمالها يعبر عنها بأروع المعاني، ويروها لا تعبر عن كل ما يشعرون به، من لذة الوصول إلى الله "سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين"

ثبت المراجع :

-الأعلام، خير الدين الزركلي، ج١، ط١٧ دار العلم للملايين- لبنان٢٠٠٧

-البحر المديد في تفسير القرآن المجيد:أحمد محمد بن عجيبة، تحقيق أحمد عبد الله القرشي رسلان ، ج ٤، القاهرة ١٩٩٩

-إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عطاء الله السكندري، أحمد بن عجيبة، تحقيق:محمد عزت، المكتبة التوفيقية٢٠٠٨م

-الدررالنقية بمعرفة مصطلحات السادة الصوفية:احمد بن منصور قرطام ،ط١،المركز الوطني للبحوث والدراسات ،فلسطين٢٠٢١

-الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية، أحمد بن عجيبة تحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط:١/٢٠١٠

-الفهرسة :ابن عجيبة، تحقيق:عبد الحميد صالح حمدان، ط ١/١٩٩٠

-اللطائف الإيمانية الملكوتية في رسائل ابن عجيبة، صححها عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية ٢٠٢٠

-لطائف المنن:ابن عطاء الله السكندري، تحقيق عبد الحليم محمود، ط٢، دار المعارف١٩٩٩

-المعجم الفلسفي، ج ٢، الشركة العالمية للكتاب ،بيروت ١٩٩٤

-معراج التشوف إلى حقائق التصوف:أحمد بن عجيبة،تحقيق عبد المجيد خيالي ،المركز الثقافي المغربي ٢٠١٣

-معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ٢٠٠٥

References :

-al'aealami, khayr aldiyn alzirkili,ja1,ta17 dar aleilm lilmalayini-lubnan2007

-albahr almadid fi tafsir alquran almajid:'ahmad muhamad bin eajibati,tahqiq 'ahmad eabd allah alqurashi raslan ,j 4,alqahirat 1999

-'iiqaz alhimam fi sharh alhukm liabn eata' allah alsakandiri,'ahmad bin eajibati,tahqiqi:muhamad eiztu,ta: 2008m,almaktabat altawfiqia

-aldarralnaqiat bimaerifat mustalahat alsaadat alsuwfiati:ahamad bin mansur qartam

-alfutuhat al'iilahiat fi sharh almabahith al'asliati,'ahmad bin eajibat tahqiqu: easim 'iibrahim alkiali,dar alkutub aleilmiatu-birut, ta:1/2010

-alfahrasat :abin eajibati,tahqiq:eabd alhamid salih hamdan, t 1/1990

-allatayif al'iimaniat almalakutiat sahahaha easim 'iibrahim alkiali,dar alkutub aleilmiat aihmad bin eajibat rasayil fi altasawuf

-ltayif almunan:abin eata' allah alsakandiri,thqiq eabd alhalim mahmud,ta2,dar almaearif

-almuejam alfilisfia,j 2,alsharikat alealamiat lilkitab - bayrut

-miearaj alttshuf 'iilaa haqayiq altasawufi:'ahmad bin eajiba

-muealimat almaghrib,aljameiat almaghribiat liltaalif waltarjamat walnashri,2005